

أدب ونقد

الديمقراطية

الوطنية

مجلة الثقافة

عدد
خاص

مارس ٢٠٠٩ - العدد ٢٨٣



العالم وأنيس

الرفيقان

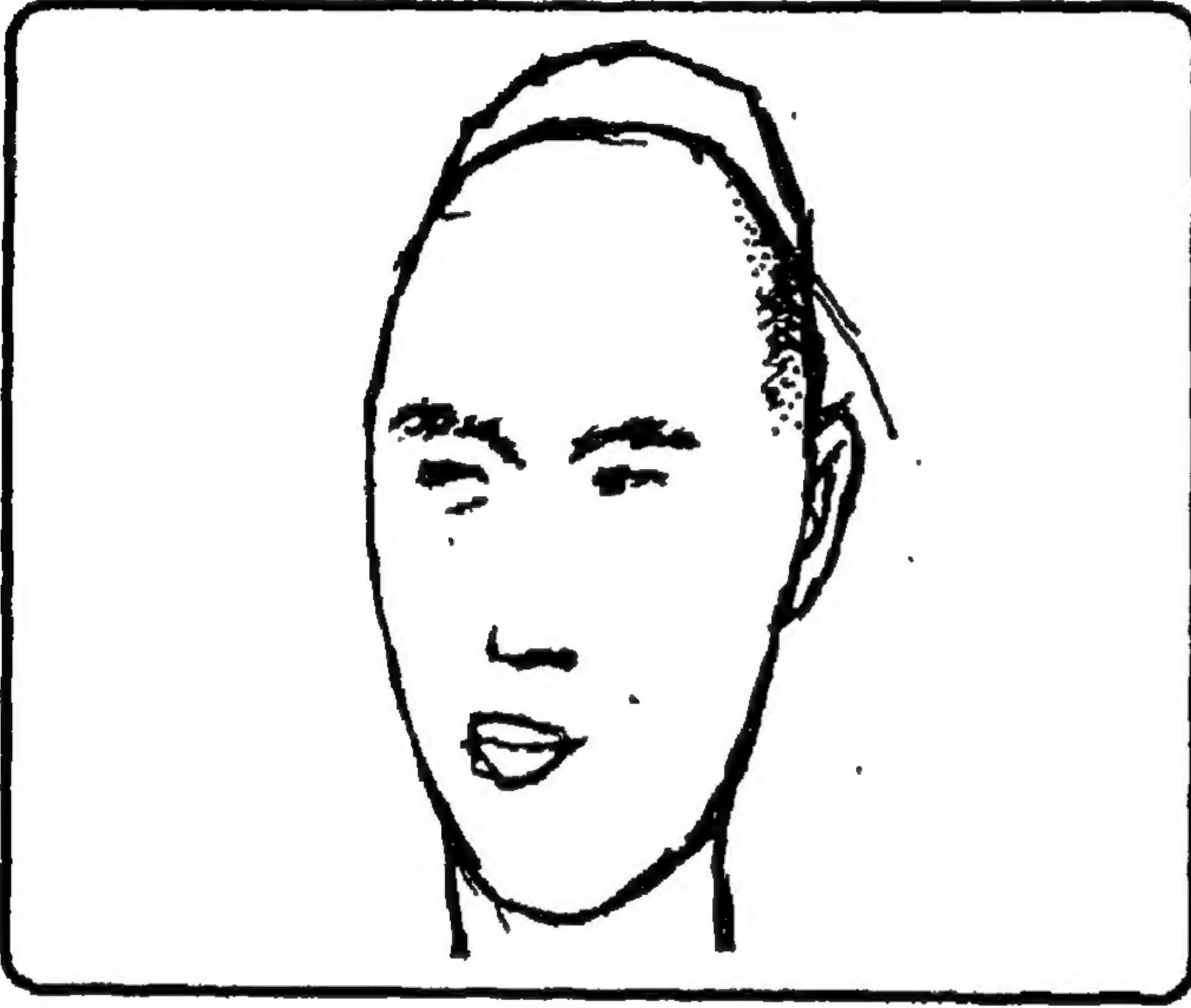
فى الإقامة والرحيل

أدب وفن

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى
تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الخامسة والعشرون

العدد ٢٨٣ مارس ٢٠٠٩



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد
رئيس التحرير: حلمى سالم
مدير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروى
طلعت الشايب / د. على مبروك/
غادة نبيل / ماجد يوسف/
د. شيرين أبو النجا / فريد أبو سعدة.

أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفني: أحمد السجيني

إخراج فنى: عزة عز الدين

مراجعة لغوية: أبو السعود على

الرسوم الداخلية للفنان الراحل: حسن فؤاد

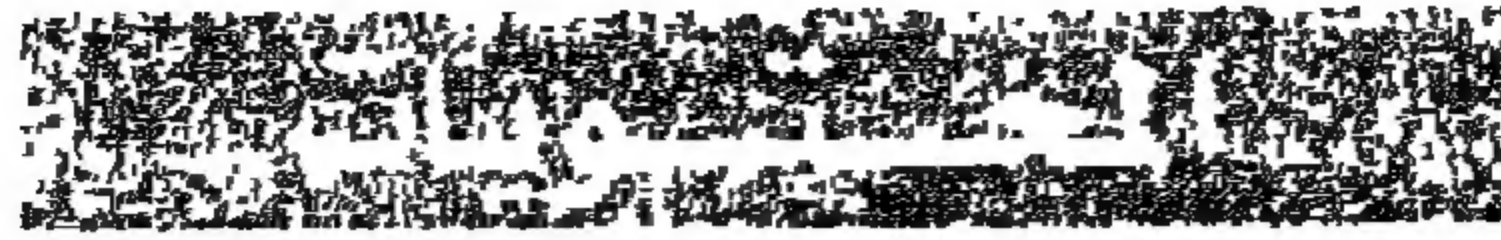
الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد) : داخل مصر ٧٥ جنيها
البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال المواد على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:
Cairo 680 @ Yahoo. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب

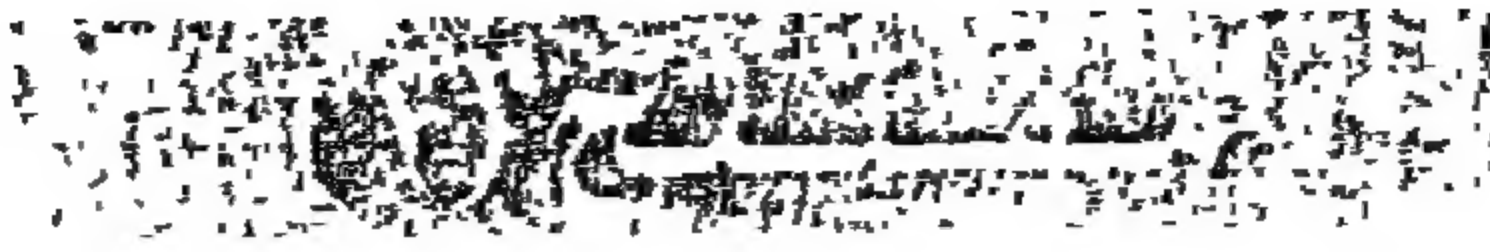
القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٢٥٧٨٤٨٦٧



- مفتتح (١): سيرة مجلة مشاغبة..... فريدة النقاش ٥
- مفتتح (٢) القنديلان حلمى سالم ١٠
- مفتتح (٣) أهزوجة الثبات (شعر) ماجد يوسف ١٦
- الرفيق صلاح عدلى ٢٠
- الأنيس د. ماهر شفيق فريد ٢٤
- أهل العلم وأهل السياسة صلاح عيسى ٢٧
- تطور الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم د. صلاح السروى ٣١
- الديوان الصغير:
- التوأم / شعر/ عبد الرحمن الأبنودى ٤٧
- أغنية دون كيشوت الأخيرة أحمد عبد المعطى حجازى ٦٤
- طفولتى بقلمى / سيرة/ د. عبد العظيم أنيس ٧١
- العالم: القيمة والرمز د. جابر عصفور ٨٢
- وفاء للأمل الاشتراكى فريدة النقاش ٨٩
- أنيس: عالم فن وناقد أديب د. جلال أمين ٩٢
- عالم الرياضيات الوطنى د. مينا بديع عبد الملك ١٠١
- أجمل شيوعى رآته عين د. محمد الباجس ١٠٣
- كم بكينا دمعتين ووردة د. عبد العظيم أنيس ١٠٧
- رسائل العذوبة والتسامح شعبان يوسف ١١٢
- رحيل أسر لحياة مدهشة د. محجوب الحارث ١١٧
- محمود والأمين والعالم حامد الحلبي ١٢١
- القاهرة ١٩٦٦ هانى الحورانى ١٢٥
- الفيلسوف مناظلاً سمير كرم ١٣١
- المتمرد د. عاصم الدسوقي ١٣٤
- الغالم : المكافح الرقيق فاروق عبد القادر ١٤٠



وہاں وہ اپنے گھر کے دروازے پر پہنچا



سيرة مجلة مشاغبة

فريدة النقاش

عاشت مجلة «أدب ونقد» ، ولاتزال ، ظروفًا صعبة أولها وعلى رأسها شح التمويل، فحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي الذي يصدرها غنى بمثقفيه ومفكره وعضويته الواسعة من العمال والفلاحين والموظفين والطلاب، ولكن مصادرة المالية شحيحة، ومع ذلك فهو لم يتخل أبدأ عن المجلة التي تصدر بانتظام منذ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٤ وإن كانت تظهر في ورق رخيص وطباعة متواضعة.

تضاف إلى ذلك الصعوبات الحقيقية التي تواجهها الثقافة المكتوبة في عصر ثورة الكمبيوتر، كذلك يبدو في بعض الأحيان وكأننا قادمون من عصر غابر يتحدث عن الثقافة الوطنية في عصر العولمة، ونحن نسعى لإضاءة هذه الثقافة الوطنية الديمقراطية التي تغتنى بالانفتاح على كل الثقافات الأخرى، وتبقى دائماً - في حالة فعاليتها - قوة معنوية ملهمة لشعب يعاني ظروفًا اقتصادية واجتماعية وسياسية قاسية، ولا يتبقى له وقت ولا مال لقراءة المجلات الثقافية،

شأنها شأن
كل
المشروعات
الجادة التي
تطمح إلى
الحفر في
الصخور
الصلدة من
أجل تغيير
يدفع
بالمجتمع إلى
الأمم

• الكلمة التي ألقاها فريدة النقاش في احتفالية ٢٥ سنة علي صدور «أدب ونقد» يوم

أول فبراير ٢٠٠٩ .

أدب ونقد

لأنه مشدود للمرئى والمسموع دون نقد .. والنقد والوعى الناقد هما رهان مجلتنا الأساسى، ولا نزيد - كدت أقول : لن نقبل بأن تدهسنا العولة الرأسمالية، ونذوب فى النمطى.

ولهذا رعت المجلة عبر مسيرتها الطويلة كل صور المغامرة الإبداعية على أن تتوفر لها شروط الإبداع . وقد تصور الكتاب فى البداية أنها مجلة حزبية بالمعنى التقليدى السيسى، ثم فوجئوا بأن مساحة الحرية المتاحة فيها أوسع كثيرا من تلك المساحة المتوفرة فى منابر أخرى، بل وربما فى المجتمع قاطبة، ولم يكن نادرا أن تحدث مشكلات مع قيادة الحزب بسبب هذا التوجه.

لقد انخرطت، أدب ونقد، فى الدفاع عن حق الاختلاف، وأعدت ملفات كثيرة عن الكتب والأفلام والمسرحيات المصادرة، وأدارت حوارات غنية مع كبار المؤلفين والمبدعين، وكشفت صور الثقافة التجارية الاستهلاكية المهيمنة، التى ارتبطت بأيدىولوجية عبادة السوق، وبالنمط شبه الموحد الشائع على الصعيد العالمى، ولذى يمثل شكلا من أشكال الإكراه الناعم، حيث يبدو وكأنه اختيار حر، يتطابق شكليا فقط مع سمة من سمات عصرنا باعتباره عصر حقوق الإنسان.

ويبحث العاملون فى المجلة بدأب على الصور غير الشائعة لأدب المقاومة، ومقاومة التنميط على نحو خاص، وفى هذا السياق كانت قضايا الهوية بتناقضاتها والتباساتها حاضرة ومتجلية فى مظاهر متعددة من الهوية الوطنية للهوية الدينية، ومن الطائفة للعرف للقبليّة فالأسرة . وكان ملفاً من الملفات المخصصة للتعرف على الهويات عن، أدب المنبوذين فى الهند،.

وتشكل الهويات والخصوصيات - أيا كان مستواها - نبعا لا ينضب للأدب وهو يلتقط أدق التفاصيل والنقد وهو يللم الشظايا ويضعها فى إطار وسياق مستخلصا المعنى من اللامعنى، ومحاو لا التقاط الدلالات المخفية.

ورغم سلبية عملية تفتيت الهويات لأصغر مدى فقد وجدنا فيها ردا - فى بعض الأحيان - على عنف الاستغلال الاقتصادى والاضطهاد القومى ، وبقيت دائما نبعا غنيا لخصوصيات الخيال البشرى فى مواجهة عملية التوحيد والتنميط القسرى التى يقوم بها السوق والعولة الاقتصادية الرأسمالية بما يصاحبها من تهيمش واستبعاد.

وكان انشغال، أدب ونقد، الدائم بهذه القضية علامة مميزة على جودة المجلة وعصريتها، رغم فقرها المادى، ولا أنسى أبدا ما قاله الفنان التشكيلى المبدع، حلمى التونى، : إن مجلة أدب ونقد مثلها مثل مصر .. فقيرة

أدب ونقد

وجميلة..

فهل يا ترى حين نردد هذا الكلام الجميل المريح نكون قد وقعنا فى أسر الشوفينية المغربية خاصة حين تكون البلاد فى حالة ضعف؟؟ لا.. لا أظن.. فمن يعرف الحياة الثقافية والاجتماعية المصرية عن قرب، ويتعامل مع القاعدة الشعبية العريضة، سرعان ما يكتشف حقيقة أن لدى المصريين قدرة مذهلة، رغم الفقر، على تجميل الحياة. وكما يقول المثل الشائع: «يعمل من الفسيخ شربات.. فإذا ما توفر الإخلاص ووضوح الهدف والحد الأدنى من الإمكانيات، يصنعون الكثير، وهذا هو العنصر الخفى الذى يراهن عليه المتفائلون من دعاة التغيير والإصلاح.

يقول البعض إن هذه بعض ملامح ثقافة الفقر.. ربما كان ذلك صحيحا، لكن المؤكد أن اقتناعنا وحماسنا للدور الذى تلعبه مجلتنا كمجلة فقيرة وجميلة مثل مصر، لا ينطوى على أى نوع من إعلاء شأن الذات أو التعصب القومى أو الرغبة فى التستر على الأخطاء التى تقع فيها المجلة.

لقد انحازت، أدب ونقد، على امتداد تاريخها للأدب الواقعى، مستشهدة دائماً بكلاسيكياته الكبرى والخالدة، معتبرة أن كل أدب عظيم هو أدب واقعى، ويرتبط هذا المنحى بالفكرة السابقة عن الهويات والخصوصيات، وكما يقول جورج لوكاش: «الفن والأدب يستخلصان من هذه التفاصيل، ومن تكوين العلاقات فيما بينها ما هو إنسانى عام فن الإنسان، حين يهتمان بجدلية الروح، وخواص الذات البشرية الأكثر جوهرية والأعمق، ولكن الطريق نحو معرفتها يقع عبر دراسة التفاصيل والجزئيات والخصوصيات..

وللخصوصيات فى هذا السياق معنى إيجابياً دافعا للحياة والتجديد الذاتى، وناف للمعنى الذى تستهدف النزعات الأصولية الدينية تجذيره فى المجتمع، وهو الانغلاق على الذات والإعلاء من شأنها باعتبار أن تفردا هو تفوق على الآخرين، وحتى تصل الأصولية الدينية لمثل هذه الوضعية المستحيلة فإنها تسجن نفسها فى الماضى، وتقطع الخطوة الأولى على طريق تكفير الآخر ونفيه،

وقد انشغلت، أدب ونقد، - وما زالت - بقضية، الإسلام والحداثة والديمقراطية، من كل زواياها، ورأت دائماً أن الحداثة هى حتمية تاريخية لا بد أن يركب العرب قطارها، حتى لا يخرجوا من التاريخ، وطابقت بينها وبين الحرية والصناعة، وقال مكسيم جوركى: «إن الأدب هو عين العالم التى ترى كل شىء، وهو أيضا وسيلة لتوحيد وتماسك البشر، ولا تقل حاجة الإنسان للفن والأدب فى

أدب ونقد

عصر التقدم العلمى والتكنولوجى الهائل وثورة الاتصال والمعلومات عن اكتشاف أسرار الروح التى تبقى دائماً فى حاجة للاكتشاف والإغناء.

وتكمن قوة الفن الحقيقية فى ارتباطه بالناس ، وبالشعب الذى يلهمه ، ويظل الفنان يبحث عن فريدة الأنا الإنسانية فى سياق علاقتها بالجماعة، وآفاق تطورها الاجتماعى ، وفى ارتباط وثيق بقدرته على نقل الإحساس بالفرح والأخوة والتضامن ، وامتلاء الوجود الإنسانى.

أما الاستقبال الجماعى فهو بدوره فرح خالص نزيه، ولا ننسى أن نلتقط هنا عناصر التشابه بين هذا المعنى ومعنى أن يكون الإنسان عضواً فى حزب تقدمى يستهدف إرساء هذه القيم والمعانى النبيلة فى حياة الناس، وهم ينهضون بعملية تحرير أنفسهم من الاستغلال والاستعباد والخوف، وتحرير أوطانهم فى آن واحد.

وطالما ناقشنا علاقة «أدب ونقد» بالسياسة ونحن ندفع عن أنفسنا تهمة «تسييس الأدب» ، وهى تهمة جاهزة لأى مجلة يصدرها حزب.. واستغرق الأمر وقتاً طويلاً، بل إن النقاش لا يزال جارياً حول الفرق بين المعنى اليومى للسياسة كأحداث ومواقف، والمعنى الأعمق لها كروية للعالم، هى التى تحدد مضمون السياسة، إن كانت تقدمية أو محافظة. وطالما أصرت «أدب ونقد» على أنه ما من سياسة حقيقية دون ثقافة حقيقية، تضرب بجذور عميقة، لا فى تراث الثقافة العربية الإسلامية وحدها، وإنما فى التراث الإنسانى كافة، حيث نضىء منه ما يحيى، وننتقد ما يموت ، ونضعهما معاً فى سياق وارتباط جدلى بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل عصر ومرحلة.

ماذا نستهدف؟ الرد على هذا السؤال صعب، لكن لا أخفى زناً نريد أن نطال النجوم. ولا نريد أن نمضى دون أثر، بل نتمنى أن نؤثر لا فى خيارات أجيال من الأدباء والمفكرين فحسب، حتى لو بقى هذا التأثير نخبوياً، وإنما فى حياة ذلك القطاع من الشعب الذى يمثل له الأدب والفن قيمة.. نريد أن يكون لنا تأثير شعر المقاومة الفلسطينية.. هل هذا كثير؟.. كلا وإليكم هذه القصة: دخل الفنان التركى التقدمى «إبراهيم بالابان» السجن بسبب أفكاره ونشاطه الثورى ، وهناك رسم لوحة تعبيرية أطلق عليها اسم «الجريمة»، وكان أن شاهد اللوحة مجرم عتيد عجوز، فوقف أمامها طويلاً متأملاً، ثم قال للفنان: آه يا إبراهيم لو كنت رسمت هذا من قبل، ربما ما قتلت أنا أحداً.

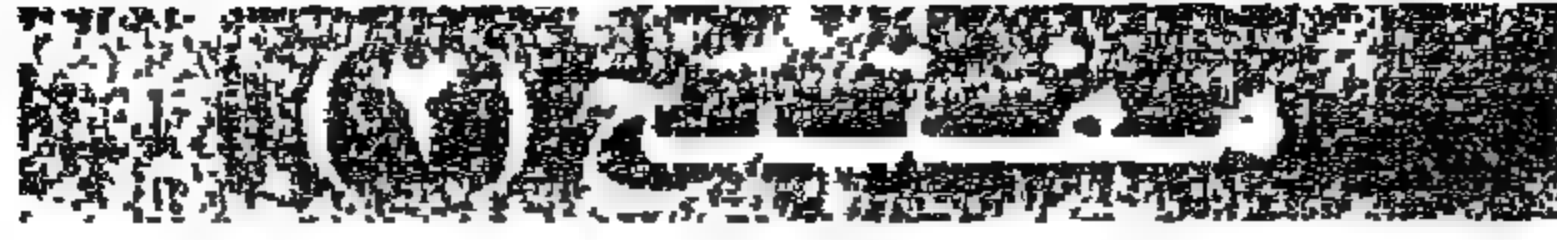
سألنى شاعر صديق هل استطاعت «أدب ونقد» أن تختصر المسافة، ولو قليلاً، بينها وبين من تتوجه إليهم؟.

أدب ونقد



وهل نجحت فى إشاعة قبس من الثقافة الوطنية الديمقراطية التى تصدر غلافها شهرياً، أم أنها لا تختلف كثيراً عن المجالات الأدبية التى تصدر فى مصر والوطن العربى؟. وقد أحلنا السؤال لقرائنا وأصدقائنا، ونتوقع إجابات متباينة، لأننا شأن الحزب الذى تصدر عنه المجلة، نسعى بجد لتطبيق منهج المشاركة. وسوف نبقى على نهجنا، إلا لو ثبت لنا واقعياً أنه خطأ.. وفى كل فن أو فكر سوف نسأل أين الإنسان؟. إذ نؤمن بقدراته الخلاقة والكامنة التى ما أن يتاح لها الازدهار إلا ويصبح العالم أجمل، ويصبح أيضاً جديراً بالبشر، ويفعل الفكر النقدى الحرفعله لتحويل هذا العالم.. وتقليل حجم التعاسة فيه، من أجل فرح يدوم، وعدل ترفرف

أدب ونقد راياته بحرية ■



القنديلان

حلمى سالم

هذان المفكران اللذان واصلتا طريق المنورين المصريين والعرب المرموقين، بدءاً من رفاعة الطهطاوى وحسن العطار ومحمد عبده وشبلى شميل وفرح أنطون وسلامة موسى وطه حسين وغيرهم من حملة المشاعل المضيئة فى تاريخنا الحديث.

وكانت «أدب ونقد» قد قدمت ملفاً خاصاً عن محمود أمين العالم، عام ١٩٩٢، بمناسبة بلوغه السبعين، كما قدمت ملفاً خاصاً عن د. أنيس عام ١٩٩٣ بمناسبة بلوغه السبعين، ثم قدمت ملفاً خاصاً آخر عام ٢٠٠٧، عن العالم بمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين.

واليوم، نهدي إليهما هذا العدد الخاص كله تحيةً لهما معاً، لهذين الصنوين اللذين عاشا معاً، وكافحا معاً، وسجنا معاً، ورحلا معاً، عرفاناً منا ومن الحركة الفكرية والثقافية المصرية والعربية، بما أضاءاه من شموع فى درب النهضة العربية المأمولة .

...

كان محمود أمين العالم (يصعب على أن أقول: كان) واحداً من أرفع المثقفين العرب فى العقود الأخيرة الذين يعدّون استمراراً للسلسلة المباركة فى الثقافة العربية. تلك العائلة الكريمة التى تبدأ بعلى بن

برجيل
محمود أمين
العالم (١٩٢٢ -
٢٠٠٩) ود.
عبد العظيم
أنيس (١٩٢٣ -
٢٠٠٩) تفقد
الحياة
السياسية
والفكرية
والأدبية
المصرية
والعربية
علمين
خفاكين من
أعلام النهضة
والتنوير
الخفاقة فى
النصف الثانى
من القرن
العشرين

أدب ونقد

أبى طالب وأبى ذر الغفارى، وتمر بالحلاج والمعتزلة وابن رشد، ولا تنتهى عند طه حسين وعلى عبدالرازق وحسين مروة ومهدى عامل والطيب تيزينى وغيرهم.

وقد تجلت هذه الرفعة الرفيعة عند محمود أمين العالم، فى ثلاث خصائص كبرى ميزته عن العديد من أتباعه من كبار المثقفين المعاصرين:

الخصيصة الأولى: هى ربطه، النظر بالعمل، فلم يكتف بصفاء الاعتصام برؤاه النظرية الفكرية فى برج عاجى، شاق، ينعزل به عن مجريات الواقع الموار الملوث. بل أقام جدلاً خصباً بين النظرية، والتطبيق، فاغتنى الفكر بالواقع واغتنى الواقع بالفكر، وبذلك جسد لنا نموذجاً حياً لما أسماه الفكر الإيطالى أنطونيو جرامشى، المثقف العضوى، منطلقاً فى ذلك من الجملة التى كان يرددها لنا كثيراً: النظرية رمادية، لكن شجرة الحياة خضراء..

وقد كلفه هذا الربط الجدلى بين النظر والعمل أثمناً باهظة تعددت صورها: بدءاً من الاعتقال (سنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٤)، مروراً بالنفى (سنوات السبعينيات) وليس انتهاء بالعزل والحجب، طوال العقود كلها. لكن الرجل الصلب المتفائل المبتسم ظل صلباً متفائلاً مبتسماً.

الخصيصة الثانية: هى عقله الحى المتحرك النابض، الذى لا يقع فى عبادة النصوص، ولا يقع فى تصلب الشرايين الفكرية فلا يتجدد الفكر ولا يتزعزع اليقين. كان هذا العقل الحى النابض يدفع العالم، مراراً، إلى تعديل رأيه أو توسيع فكرته أو تطوير معتقده. ولعل المثل الأبرز لذلك مقدمته الجديدة لكتاب، فى الثقافة المصرية، الذى كتبه هو وعبدالعظيم أنيس (١٩٥٥)، ثم طور أفكاره ووسع رؤاه فى الطبعة الجديدة التى صدرت عن دار الثقافة الجديدة عام ١٩٨٩. إن المثقف الواثق الرفيع هو الذى لا يرى أن أفكاره، عجل أبيس، المقدس الذى لا يطاله التعديل من أمام أو من خلف!

الخصيصة الثالثة: هى، احترام الآخر، ذلك الاحترام الذى لا يرى صاحبه أن رأيه هو الحق الوحيد، وما عداه هو الباطل. كأن العالم فى ذلك يتأسى بجملة الإمام الشافعى الباهرة: رأى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب.. وهو فى ذلك ينطلق من تقدير مفهوم التنوع، الفكرى والسياسى والجمالى، ومن تقدير مفهوم الاختلاف، المناقض (بل المناهض) لتحويل الناس إلى صيغ متشابهة متكررة، كالكليشيات، الجامدة.

يشيع الظن بين كثير من العامة أن الماركسيين - والعالم واحد من كبار كبارهم - متوقعون فى قمقم، النظريات الهائمة، وأنهم يعتقدون أن

أدب - نقد

أفكارهم مقدسة حديدية لا يدخلها تعديل أو توسيع أو تطوير، وأنهم دعاة، الرأى الواحد، الذى لا يرى لرأى الآخرين وجوداً. لكن محمود أمين العالم، بما قدمه من فكر وكتب ومواقف وسلوك سياسى وثقافى وإنسانى كان (يصعب على أن أقول: كان) نموذجاً زاهياً نافياً وداحضاً لهذه الظنون والتصورات الخاطئة الشائعة، بل إن نموذج العالم انطوى - فوق كل ذلك - على نزع صوفى عميق دفين، غلف رؤاه الفكرية ومواقفه السياسية جميعاً. فيأله من ماركسى أصيل فى إهاب صوفى أصيل.

...

كنت أشير إلى مفارقة رحيل عبد العظيم أنيس بعد خمسة أيام لا غير من رحيل رفيق عمره محمود أمين العالم، حينما قلت لرئيسة تحرير الأهالى فريدة النقاش: هذان الرجلان اللذان عاشا ماديّين جدليّين، ماديّين تاريخيّين، صنعاً فى موتهما صنيعاً ميتافيزيقياً ساطعاً، حينما رفض أحدهما، أنيس، أن يبقى فى الحياة بعد ذهاب رفيقه، العالم، إلا أياماً قليلة، وهذا هو المعنى الذى قصده شهرت العالم، وهى تبلغنى بنبا رحيل أنيس: «ما قدرش يستنى بعد موت صاحبه».

ردت فريدة النقاش على قائلة: «ليس فى الأمر ميتافيزيقاً، قل إنها مصادفة». هنا تذكرت كتاب محمود أمين العالم «فلسفة المصادفة»، وتذكرت تبسيط العالم فكرتها لنا بقوله «إن المصادفة هى جماع مجموعة من الضرورات». وقد تضافرت فى ظاهرة العالم، أنيس، جملة من الضرورات التى كونت، بتراكبها، هذه المصادفة الباهرة.

تقارباً معاً فى سنة الميلاد، العالم ١٩٢٢، وأنيس ١٩٢٣، ثم بدأ معاً فى الصبا الإلتواء إلى الفكر الاشتراكى العلمى، فكانا سوياً فى طليعة شباب اليسار المصرى فى الأربعينيات، وأصابهما معا رذاذ العنف الناصرى، حينما فصلهما عبد الناصر، إبان أزمة مارس ١٩٥٤، من التدريس بجامعة عين شمس، ثم التقيا فى أهمية أن يكون الأدب فى خدمة المجتمع، فدشنا مبكراً ما صار يعرف فى حياتنا الثقافية باسم «الواقعية الاشتراكية»، فى الأدب والفن، وخاضا من أجلها معارك شرسة مع القطبيين الكبيرين طه حسين وعباس العقاد، اللذين كانا قاسيين فى سجالهما مع الشابين، فمرة وصف طه حسين مقالات الشابين اليساريين بأنها «يونانى لا يقرأ»، ومرة قال العقاد عنهما: «إننى لا أناقشهما، بل أضبطهما». فى إشارة خبيثة إلى الإلتواء اليسارى للشابين.

وقى سجل الشابين اليافغان الملتزمان هذه الحوارات الساخنة فى كتاب «فى الثقافة المصرية (١٩٥٥)» الذى يعده الكثيرون. بمن فيهم خصوم الشابين وخصوم الواقعية فى الأدب، كتاباً رائداً وفاتحة لاتجاه صار يتعمق فى

أدب وفن

الفكر المصري الحديث، وكانت المعارك، النقدية، التي دارت حول هذا الكتاب - كما قال العالم مرات - غطاء لمعارك سياسية وأيديولوجية، في الحياة المصرية، طوال الخمسينيات والستينيات.

في يناير ١٩٥٩ جمعتهم المعتقلات الوحشية التي فتحها النظام السياسي لاستقبال الشيوعيين في الحبسة التي استمرت حتى عام ١٩٦٤، فوحدت بينهما - وبين الكثيرين - الصلابة أمام التعذيب والقوة في الروح، والثبات على المبدأ.

ربط بينهما، بعد الخروج من المعتقلات، قيادة بعض المؤسسات الثقافية، أثناء محاولة الثورة الناصرية التقرب من اليساريين في منتصف الستينيات. ثم زارهما المرض، سوية، في السنوات الأخيرة، وظهر الرفيقان في عزاء أحمد نبيل الهلالي: العالم هزيل البنية، وأنيس على كرسى.

وعندما أسلم العالم الروح في مستشفى بالدقي، كان أنيس في حالة حرجة بمستشفى في مصر الجديدة، ولم تمر سوى خمسة أيام حتى لحق الرفيق بالرفيق. هذه هي مجموعة الضرورات التي تجمعت فكانت، حتمية المصادفة، فسلاما للرفيقتين اللذين عاشا تجسيدا للحتمية التاريخية، وماتا تجسيدا، للمصادفة التاريخية.

...

حينما توفي المفكر والعالم الكبير د. عبد العظيم أنيس منذ أيام قليلة، كنت أتابع إعلانات النعي والعزاء التي نشرت في الأهرام طوال الأيام التالية لوفاة الرجل، فوجدت عجباً. كان كثير من الهيئات والمؤسسات الحكومية والاقتصادية (العامة والخاصة) تنشر التعزية بالصيغة التالية: «هيئة أو مؤسسة كذا تشاطر بمزيد من الحزن والأسى الدكتور طارق كامل وزير الاتصالات (وأحياناً يضاف: والدكتور حسام كامل) لوفاة خال سيادته، بدون أي ذكر لاسم أو صفة خال سيادته! ومعلوم أن د. أنيس هو خال طارق كامل وزير الاتصالات وحسام كامل رئيس جامعة القاهرة. كنت أتعجب من هذه الهيئات (وبعضها هيئات علمية) التي لا ترى في الراحل الكبير د. أنيس سوى أنه، خال سيادة، وزير الاتصالات أو، خال سيادة، رئيس جامعة القاهرة، بينما هو المفكر الكبير والعالم المرموق وأستاذ الرياضيات الأشهر، وهو الذي رأس هيئة الكتاب وغيرها من المؤسسات المهمة في الستينيات، حينما كان هؤلاء، السادة، يلبسون، الشورت، ويلعبون في «حوش»

مدارسهم الابتدائية.

أدب ونقد

استوقفتني في هذه التعزيات، التي هي رسائل مصلحة موجهة

ونفاق فاقع للسلطات، تعزيتان: الأولى تعزية مجموعة طلعت مصطفى (المحبوس بتهمة التحريض على قتل الراقصة سوزان تميم) الموجهة إلى «خال سيادة، وزير الاتصالات» ومفهوم أن توجه مجموعة اقتصادية عقارية واقعة في مأزق أخلاقي راهن «محلتها، إلى وزير الاتصالات وتعزيته في وفاة «خال سيادته»، بدون ذكر اسم هذا الخال «المنكر»، وكيف لمؤسسة عقارية «تشفط» فلوس الناس لكي تبني «مدينة عالمية على أرض مصرية، أن تذكر اسم الراحل الذي تنعيه، وهو مفكر شيوعي معاد للاستغلال والنهب والفساد».

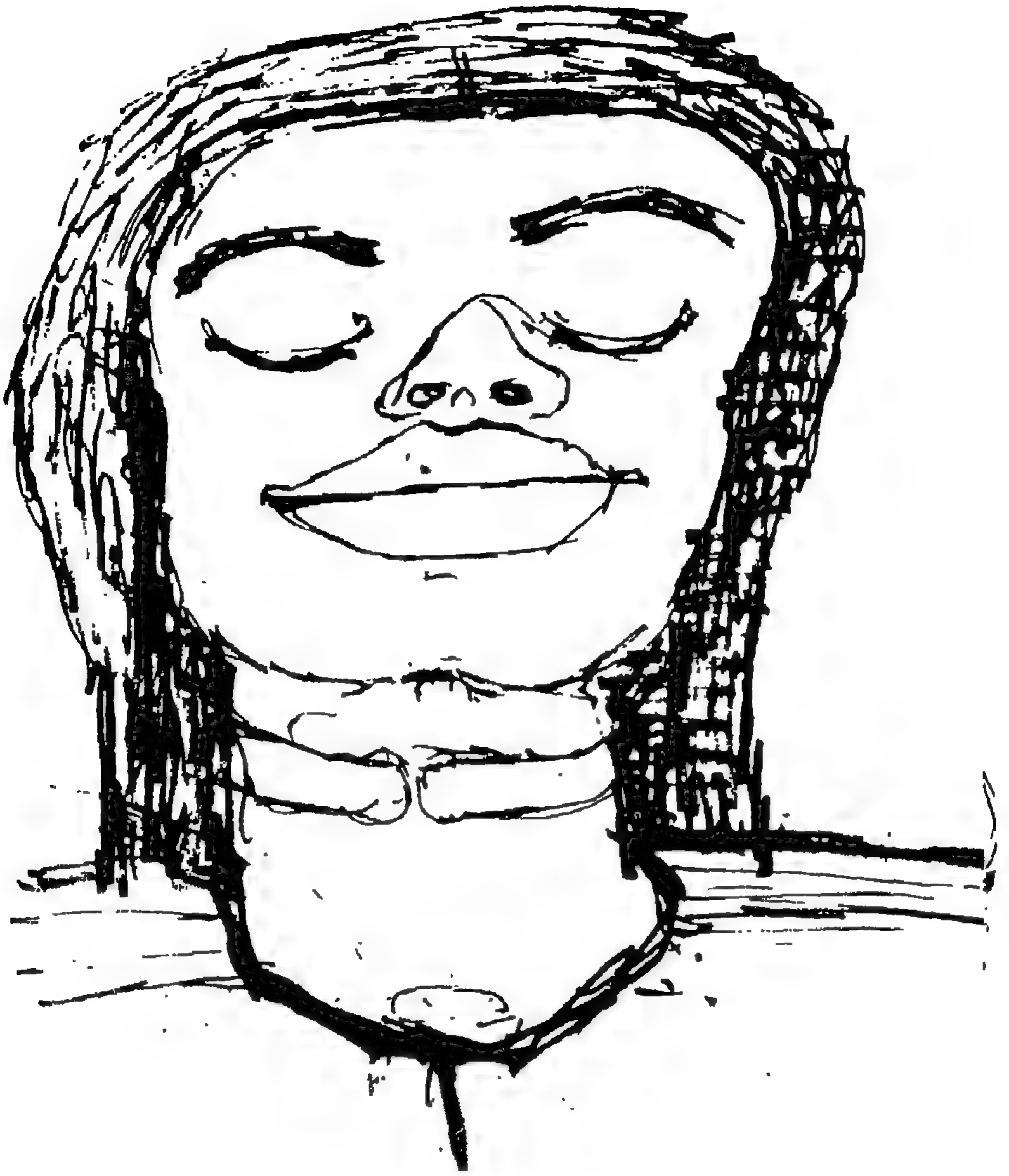
الثانية: تعزية وزير الإعلام أنس الفقي، الذي عزى د. طارق كامل في وفاة «خال سيادته»، بدون ذكر اسم هذا الخال، وهو يعلم قدر هذا الخال ووزنه في الحياة الفكرية والعلمية المصرية (أو المفروض أنه يعلم بوصفه وزير الإعلام).

هل كل هؤلاء الذين عزوا في «خال سيادته»، لا يعرفون من هو الخال الراحل عبد العظيم أنيس؟ إذا كانوا يعرفون قدره ويتجاهلونه (بدافع التديليس ومسح الجوخ) فهذه مصيبة فاضحة. وإذا كانوا لا يعرفون قدر هذا الخال، فهذه مصيبة فاضحة. والأرجح عندي أن الجميع يعرفون قدر الخال الراحل، لكنهم أرادوا استخدام اسم الراحل بصفته «كوبري، لنفاق السلطات» وهو «فعل خسيس، منزوع الكياسة واللباقة والحس الإنساني السليم».

هل نتذكر- في هذا السياق - يوم مات الشاعر الفرنسي الشيعي لويس أراجون (١٩٨١). يومها قطع التليفزيون الفرنسي إرساله، وظهر ميتران، رئيس الجمهورية آنذاك (ولم يكن شيعيا) يقول على شاشات التليفزيون: «اليوم غربت شمس فرنسا. لقد مات أراجون»، أما في مصر فإن «مسح الجوخ، يصنع الكثير من الأعاجيب المنحطة».

آدب وفد

لقد ترك العالم وأنيس رهطاً كبيراً من التلاميذ وتلاميذ التلاميذ،



اولئك الذين تشربوا من الرجلين (الغائبين الحاضرين) الروح التقدمي والنزع
العقلاني والوجدان الإنساني. وهذا الرهط الكثير قادر (باستلهم سيرة ومسار
الراجلين) على أن يعوضنا عنهما خير التعويض. وإذا كان المثل التقليدي يقول: «من
أنجب لم يمت»، فنحن نقول: «من خلف أجيالاً من المريدين والقلوب المفتوحة للحياة
والأمل، لم يمت».

أدب وفد على الغائبين الحاضرين السلام ■

وحيـضـور كـأنه فـتـد
ويـقـين كـأنه ظن

الملـح كـأن جـديـد
وكـأنه لـمـح بـرق
والرعد المسـتـمـيت
عمـل ف حـيـاتنا فـرق
ثقة ما هـاش حـود
وأمانة ف الـابتـسـام
.. ملـت العـدم وجـود
.. والفـيوضى بالأنسـام

حـرمـوا الـورود .. هـوا
واعـتـقلوا كل غـصـن
لكن عـشـان سـوا
.. ملينا الحـلم حـزن

شـفـنا الرـوح انـتـقل
مـن مـن .. إلـى إلـى
وهـزمنـا المـعـتـقل
بـسـيل الأسـبـبـة

وجـرقنا المـرحـلة
.. ربـالـصـدفة، وبـالأمـل
فـكـننا البـقـبـة
بـالوعـى الـى اكـتـمـل

وقـبـمنا بالأنفـجـار
وسـاعـدتنا الغـيـة

أدب و نقد

وحررنا الإطمار
بس المضمون طغى

وخضنا ف المعارك
وف كسل خطط وه دم
وكمان الفجر حالك
والسيل مزال أتم
وف كسل فكره سطر
.. بي ورق بالنجم وم
والفكرة راكبة قطر
.. قرب خلاص ية وم

بطئ جنودا صريح
.. ممل ف مشييتة
.. ولا حتى كمان مريح
.. ولا عارف سكتة

اهو مناشى والسلام
وساعات يقف ساعات
لكم كمان الغرام
.. بليج ر الأمنيات

لم يبننا دور .. فنعلم
ممشى ف الشدودا شكك
حتى لو انبئناهم
أو ظلم على المحنة

بس انتوا اقروا الحق
بقلوب قبيحة

أدب ونقد



الرفيق

صلاح عدلى

جلنا اليوم لا لنؤبن ونكرم فقط عالمين فذيين ومناضلين جسورين، وإنما لنتمثل أيضا طريقهما الشاق نحو عالم جديد، ونضالهما الدوؤب في سبيل تحقيق الحرية والعدالة والرقى لشعبنا المصرى العظيم .

ونحن اليوم إذ نحى ذكرى الراحلين الكبيرين محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس فإننا بذلك نحى ذكرى هذا الجيل الذهبى من الشيوعيين المصريين، جيل شهدى عطية وذكى مراد ونبيل الهلالى ومبارك عبده فضل وفؤاد مرسى ود. إسماعيل صبرى عبد الله وغيرهم الكثيرين الذين بدءوا المسيرة فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى وظلت بصماتهم وإنجازاتهم واضحة على مختلف مناحى حياتنا الفكرية والسياسية والثقافية ودفعوا ثمننا غاليا ويدلوا توضحيات كبيرة من اجل استقلال الوطن وتحقيق الديمقراطية وإنهاء الاستغلال وتحقيق التنمية الشاملة لبلادنا .

الزميلات،
والزملاء،
الرفاق
الأعزاء

• الكلمة التي القاها صلاح عدلى، باسم الحزب الشيوعى المصرى، في حفل تأبين الراحلين، العالم وأنيس، بنقابة الصحفيين المصريين ٢٠٠٩/٢/٢١ .

أدب ونقد

ورغم إن مدخل الرفيق محمود أمين العالم إلى الماركسية كان هو الفلسفة إلا أنه لم يتوقف فقط عند مجال البحث النظرى ولكنه دخل بكل كيانه فى أتون النضال الوطنى والطبقى وانتمى إلى الحركة الشيوعية وأصبح أحد قادتها فى الأربعينيات والخمسينيات وواجه سنوات السجن والاعتقال والتعذيب الطويلة بشجاعة وصلابة هو ورفاقه .

وعندما اكتشف العالم الخطأ التاريخى لحل الحزب الشيوعى وتيقن من ضرورة وأهمية وجوده المستقل لضمان إنجاز مهام الثورة كانت لديه شجاعة الاعتراف بذلك سواء من خلال النقد الذاتى الذى كتبه فى نقد تجربته مع نظام عبد الناصر أو - وهذا هو الأهم - من خلال دورة الفاعل فى إعادة تأسيس الحزب الشيوعى المصرى رغم أنه كان معزولا سياسيا ومنفيا فى باريس فأصدر فى ذلك الحين المنشورات والمجلات وعقد الندوات وشارك فى كافة الأعمال النضالية لتشكيل جبهة وطنية فى مواجهة سياسات الردة والتفريط واتفاقيات كامب دافيد .

وعاد الرفيق محمود عقب اغتيال السادات عام ١٩٨١ مباشرة ليستكمل مسيرته النضالية والفكرية والسياسية حيث تفرغ لإصدار مجلة «قضايا فكرية» التى تعتبر واحدة من أهم المجلات الفكرية على المستوى المصرى والعربى ، وخاض تجربة انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٧ عندما رشحه الحزب ، وشارك فى العديد من الوقفات والمظاهرات للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى والاحتجاج على حبس الصحفيين والدفاع عن حرية التعبير والفكر والإبداع. ولم يمنعه كبر سنه أو ظروف مرضه من المشاركة فى مظاهرة تطالب بفك الحصار عن غزة قبل وفاته بأشهر قليلة. وكان حريصا على التعامل مع الشباب بندية يحترم شطحاتهم الفكرية ونقدتهم الحاد ويعطى لهم جزءاً من وقته رغم انشغاله الشديد .

وفى الفترة التى ركزت فيها القوى الوطنية فى السنوات الأخيرة على المطالبة بالإصلاح الديمقراطى والدستورى كان يحذرننا من الاقتصار على الجانب الليبرالى فى مطالبنا الديمقراطية ، وضرورة تمييز دورنا كيسار وكشيوعيين فى الانطلاق من مفهوم أوسع للديمقراطية يربطها بالدفاع عن مصالح الوطن ، وبالمطالب الاقتصادية والاجتماعية للكادحين وبالدفاع عن الدولة المدنية العلمانية والدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد ... وكان يرى إن صحة الطبقة العاملة التى برزت فى موجة إضراباتها الكبيرة عام ٢٠٠٦ هى تصحيح للمسار وتأكيد لأهمية دور الطبقة العاملة كقاطرة للثورة والتغيير فى مصر فى تحالفها مع الفلاحين

أدب ونقد

والكادحين والمثقفين.

وكان الرفيق يردد فى العديد من المناسبات أن الشيوعيين المصريين أصحاب تاريخ يحق لهم إن يفخروا به، وأنا استمرار لمسيرة طويلة تقترب من المائة عام، علينا إن ندرس هذا التاريخ بروح نقدية حتى لا نكرر أخطاءنا.

والماركسية عند محمود أمين العالم نسق مفتوح ومنهج جدلى وإطار فلسفى واقتصادى قادر على استيعاب الجديد وتجاوز ما فات أوانه، لذلك ظل حريصا فى تحليلاته ومعاركة الفكرية على الانطلاق من الواقع الملموس واحترام الخصوصية والاستفادة من تجارب الخبرات الثورية فى العالم وملاحقة كل جديد فى الفكر ومتابعة منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية وأهمية مراجعة النظرية الماركسية فى ضوء كل ذلك، والمعيار الوحيد للحقيقة لديه هو الممارسة الحية فى الواقع الملموس و ضرورة تطوير الفكر على أساسها.

واجتهد العالم فى السنوات الأخيرة فى صياغة مفاهيم محددة للحضارة والثقافة والعلمانية والعولمة والهيمنة والحدثة وما بعد الحدثة، وذلك من خلال كتبه ومقدماته فى قضايا فكرية، التى تضمنت معارك فكرية مع مفكرين عرب ومصريين وأجانب اتسمت بالرقى فى الجدل والوضوح والدقة العلمية فى الموقف.

ومن أهم انجازات العالم الفكرية أيضا موقفة الجدلى من التراث حيث كانت نظريته للدين مثالا لموقف الماركسى الذى ينطلق من احترام الدين وضرورة استلهاام جوهره الانسانى فى استنهاض طاقات الناس الروحية فى نفس الوقت الذى يختلف فيه بحسب مع أنصار الفكر الظلامى المتعصب الذين يتخذون من الدين غطاء لتثبيت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لحماية مصالحهم الرأسمالية الاستغلالية، وظل مناصرا للدولة المدنية العلمانية ورافضا للدولة الدينية المعادية لحرية الفكر والتعبير والابداع والتفكير العلمى.

وموقف العالم من العولمة يؤكد هذه النظرة الشاملة والجدلية المتجددة للتطورات الكبيرة التى حدثت فى النظام الرأسمالى خاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكى، فكان يعارض أنصار الاستسلام للعولمة المطالبين بالاندماج فيها بشروطها واملاءاتها، كما يعارض فى نفس الوقت أصحاب النظرة المنغلقة الاستعلائية والماضوية التى ترفض الانجازات الإنسانية الفكرية والعلمية والثقافية وتطالب بالقطعية معها بدعوى الخصوصية. وكان يرى إن النظرتين تخدمان نفس الأهداف التى

تكرس التبعية والتخلف والهيمنة، لذلك كان داعيا إلى عولمة بديلة

آدب ونقد

إنسانية وديمقراطية تستهدف تحقيق الاشتراكية عبر نضال طويل وشاق لتخليص العالم من الكوارث والفقر والحروب والاستغلال، تلك المأسى التي كرستها الرأسمالية طوال تاريخها وتفاقت بشدة فى مرحلة العولمة. وكان يرى إن هذه العولمة البديلة لأبد أن تستند إلى نضال الأحزاب التقدمية والحركات الاجتماعية الجديدة، وكان يولى دورا أساسيا للمثقفين فى هذه المعركة .

لقد ساهم العالم فى بلورة مشروع وطنى نهضوى يحتاج إلى جبهة عريضة من القوى الوطنية والتقدمية ليس فقط فى مصر ولكن أيضا فى العالم العربى حيث يؤكد على أهمية التكامل العربى فى عصر التكتلات الكبرى والنضال من أجل وحدة عربية تقوم على أساس ديمقراطى وواقعى ومتدرج مع أهمية التضامن الأسمى مع حركة شعوب العالم وقواه التقدمية فى نضالها ضد الامبريالية والهيمنة الأمريكية والعنصرية الصهيونية .

ولن أتحدث عن الجوانب الأخرى المشرقة فى فكر محمود أمين العالم الفيلسوف والمفكر والناقد والشاعر، فهذا حديث يطول شرحه وسوف يغطيه زملاؤنا من المتحدثين، ولكنى أريد أن أؤكد إن العالم كان رمزا للمثقف الثورى المخلص لمبادئه ومعتقداته، المدافع عن قضايا شعبه، الحريص على انتماؤه الحزبى حتى آخر لحظة فى حياته، المتمسك بوحدة الأقوال والأفعال، المحافظ على استقلاليتته عن السلطة رغم كل المناصب التى تولاها والجوائز التى نالها .

"ليس الموت نهاية الحياة عندما يكون اكتمالا حتميا لعمر ذا خربا للجهد المثمر وتحقيقا لعمل مشرق وبداية لحياة أعمق".

ولن أجد أفضل ما أختتم به كلمتى سوى هذه العبارة للرفيق العالم حيث يقول

(اللهم هبنى أن أعرف... أن أعبر... أن أعمل... أن أبدع... أن أحسن

النهاية التى تضع البدايات للآخرين وأن أحسن البداية التى لا

تنتهى بنهايتى) ■

أدب وفد

الأنيس

د. ماهر شفيق فريد

توفي محمود أمين العالم في العاشر من يناير من هذا العام. ولم
تكد تمضي على ذلك أيام حتى لحق به الدكتور عبدالعظيم أنيس.
موضوع هذه الكلمة - إلي دار لا لغوفيه ولا تأثيم. اقترن اسماهما كما
يعرف كل إنسان. منذ اشتركا في تأليف الكتاب. العلامة، في الثقافة
المصرية، الذي صدرت طبعته الأولى عن دار الفكر الجديد في ١٩٥٥.
وأعادت دار الأدباء بالرباط طبعه في ١٩٨٨، ثم أصدرت دار الثقافة
الجديدة طبعة ثالثة منه في ١٩٨٩. وعلى هذه الطبعة الأخيرة اعتمد
هنا.

كان فكرهما متناغماً وكأنهما هما لحنان متسقان في معزوفة واحدة
يسيران جنباً إلى جنب. ولكن كلاً منهما انفرد بصوته الخاص،
ومواضع توكيده المغيرة لصاحبه. كانا يتكاملان ولا يتماهيان، لا يغنى
هذا عن ذاك وإنما يغتنى هذا بذاك في تفاعل متبادل، أو - بلغة هيجل
- في جدل خلاق.

اشترك العالم وأنيس في كتابة فصلين من، في الثقافة المصرية، إلى
جانب مقدمة (يناير ١٩٨٩) لطبعته الجديدة. ثم استقل كل منهما
بعدد من الفصول. كتب العالم عن الثقافة المصرية، وحصاد المعركة مع
شيوخ الأدب طه حسين والعقاد، وعن الحكيم وعبدالرحمن بدوي

كأنما كان على
موعد مع
رفيق دربه
الفكري في
المهام كما في
الحياة.

أدب وفد

والشعر المصرى الحديث، بينما كتب أنيس عن الأدب الواقعى وعن الرواية المصرية الحديثة (الحكيم، المازنى، محفوظ، الشرقاوى، عبد الحليم عبد الله).

لم ينل أنيس من الشهرة ما ناله العالم، فقد كان أقل إنتاجاً وأقل انخراطاً فى الحياة العامة والمنتديات الأدبية وأشد عكوفاً على عمله فى التدريس الجامعى. ولم يكتب عنه الكثير ووجهت إلى فكره سهام كان بعضها - يا للعجب! - قادماً من جهة اليسار. إن غالى شكرى مثلاً، فى فصل عن الواقعية الاشتراكية فى النقد العربى الحديث، من كتابه، ثورة الفكر فى أدبنا الحديث، (١٩٦٥) يقول إن فهم أنيس، فهم قاصر لوظيفة النقد الأدبى، وأنه تحدث عن مجموعة من الروائيين المصريين فلم يتحدث عن خصائصهم الفنية قط وكأنه يتحدث عن أعمال سياسية محضة. وقد توهم فى بعض الأحيان أنه يتحدث عن القيم الفنية حين يصف الشرقاوى قائلاً، فأنت معه تضحك وتبكي كأنك فى الحياة نفسها.. وكانت هذه الجملة - وأمثالها - اعترافاً حاسماً بأن الدكتور لم يستهدف مطلقاً دراسة نقدية، وإنما أراد أن يهدينا بحثاً فى السياسة والمجتمع. وفى حدود هذا الهدف المتواضع لم يتمكن من استقراء النظرة الصحيحة والحكم الصواب.

ليس هذا النقد منصفاً. وإن حوى ذرة من الصواب. لقد كان أنيس يملك حاسة أدبية صادقة وذوقاً رهيماً. صقله مرانه الرياضى والهندسى. وإن اصطبغ - كما هو معلوم - بموقفه الأيديولوجى. ولا نكران لأن فى كتاباته - خاصة كتاباته الباكرة - ما قد يختلف معه المرء. أنه فى كتاب، فى الثقافة المصرية، يذهب، مثلاً إلى أن نجيب محفوظ هو المعبر عن مأساة البورجوازية الصغيرة فى المرحلة الثانية للكفاح الوطنى ضد الانجليز والقصر والاقطاع والرأسمالية المستغلة.

ولكنى أعتقد أن هذا رأى ينبغى أن يوضع فى إطاره التاريخى ومرحلته الزمنية. وأعتقد أن أنيس والعالم قد عدلا من آرائهما فى ذلك الكتاب على ضوء التطور اللاحق لـ محفوظ والحكيم والشرقاوى. فقد اتسعت شبكة محفوظ - بعد رواياته الواقعية الباكرة - لتصور طبقات اجتماعية مختلفة من أدنى درجات السلم الاجتماعى إلى أعلاه مروراً بما بينهما. بل لقد اتجه إلى استيحاء ألف ليلة وليلة وأدب العبت والمأثورات الدينية فى أعمال من نوع، ليالى ألف ليلة وليلة، والحرافيش، ورثرة فوق النيل، وأولاد حارتنا، بما يقطع بأنه لم يقتصر على تصوير البورجوازية الصغيرة وإنما تعداها إلى تصوير فساد الأرستقراطية والنخبة الحاكمة والطبقات الجديدة التى طغت على السطح فى العهد الناصرى والعهد الساداتى فضلاً

أدب - نقد عن معاناة من هم فى القاع.

وعندي انه ما من مدخل إلى فكر هذا الأنيس وحياته خير من الفصل الذي كتبه تحت عنوان «التكوين» في أحد أعداد مجلة «الهلال» وصدر في كتاب «التكوين: حياة المفكرين والأدباء والفنانين بأقلامهم» (سلسلة كتاب الهلال، فبراير ١٩٩٨). هنا يكتب بأمانة وتواضع عن المعالم الرئيسية في رحلة حياته منذ مولده في شهر يونيو ١٩٢٣ في الأزهر لعائلة لها ثمانية من الأبناء، متوقفاً عند عدة محطات: خلفيته الأسرية، ذكريات طفولته، تعرفه لأول مرة على معنى الموت عند وفاة جدته (سيفقد فيما بعد زوجته الغالية في حادث مأسوي يكاد يكون عبثياً)، المدارس التي التحق بها، تفتح وعيه السياسي وخروجه في العام الدراسي ١٩٣٥/١٩٣٦ في مظاهرات احتجاجية على تصريح لووزير خارجية بريطانيا ضمّويل هور (يسقط هور ابن الثورة)، تكوينه الثقافي وقراءاته في دار الكتب بميدان باب الخلق، التحاقه بكلية العلوم لدراسة الرياضيات، تعيينه في ١٩٤٤ معيداً بكلية العلوم بجامعة الملك فاروق (الإسكندرية)، اعتناؤه إلى الماركسية، بدء دخوله المعتقلات، حصوله على الدكتوراه في الإحصاء الرياضي من إحدى كليات جامعة لندن واشتغاله استاذاً زائراً لإحدى جامعاتها، فصله من الجامعة مع لويس عوض والعالم وعبد المنعم الشرقاوي وفوزي منصور وغيرهم إثر أزمة مارس ١٩٥٤، سفره إلى بيروت للعمل في فرع معهد الإحصاء الدولي بها، اشتغاله بالصحافة، الخ..

لم ألتق به إلا مرة واحدة، وكان ذلك في احتفال بمحمود العالم في عيد ميلاده الماسي أقامته الجمعية الفلسفية المصرية في قاعة اجتماعات مجلس الكلية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وهو الاحتفال الذي تمخض عن صدور كتاب تذكاري يحمل عنوان «دراسات مهداة إلى محمود أمين العالم» بأقلام عدد من الدارسين والأصدقاء وتحرير الدكتور أحمد عبد الخليم عطية. يومها قدمني إلى أنيس أخذ الحاضرين فرحب بي بمودة صادقة. ولعله أن يكون قرأ لي شيئاً، غير الستين، لا أذكرى وقادني بأبوة حانية. وإن لم يكن بيننا فارق في السن يسوغ هذا. إلى مائدة حافلة بالأطياب كي أخذ منها بنصيب. تظل هذه اللحظة هي كل ذكرياتي الشخصية عنه ولكنها كانت. إن لم أكن مخطئاً، كافية كي تنقل لي لمحة عن إنسانيته السخية ومحبته للآخرين وخلوه من أداء الترجسية والغرور. هكذا يذهب الذين يعاش في أكنافهم ونبقى

أدب وفد
في خلف كجدار الأجرى ■

أهل العلم وأهل السياسة

صلاح عيسى

اللذين تلازم اسماهما فى ذاكرة الأجيال التى عاصرتهما أو جاءت بعدهما على امتداد أكثر من نصف قرن، ليس أولها أن الاثنين من أبناء عقد عشرينيات القرن الماضى، وليس آخرها أنهما قد اختارا أن يغادرا الدنيا فى أسبوع واحد، وكأنهما يحرصان على هذا التلازم حتى فى العالم الآخر.

فضلا عن الجيل نفسه، فقد كانا ينتميان للطبقة نفسها : ذلك هو جيل أبناء الأفندية طبعة ما بعد ثورة 1919 التى قاد مظاهراتها جيل آبائهم، من صغار التجار والحرفيين والمزارعين ومدرسى المرحلة الأولى ومجاورى الأزهر، وكتبة الدواوين، انحدر أنيس من أب كان يعمل مقاولا صغيرا، وكان العالم ابنا لمدرس أزهرى. وادرك الأبوان بالظفرة، أن مصر التى ستحررها الثورة من الاحتلال البريطانى، ستكون فى حاجة ماسة إلى من يتولى إدارة شئونها من أبنائها، بعد أن يجلو جيش الاحتلال ومعه جيش الأجانب الذين يحتلون وظائف الإدارة الوسطى والعليا، فدفعوا بهما إلى المدارس المدنية، ليؤهلاهما للدراسة فى الجامعة المصرية، التى ضمتها الحكومة المصرية إليها عام 1925 بعد ميلاد أنيس بعامين، وقبل ميلاد العالم بعام كإحدى ثمار الثورة.

فى طفولتهما وصباهما المبكر، عاش الاثنان فى بيوت تجدد ذكريات

ملاحم كثيرة
تجمع بين
سيرة
عبدالعظيم
أنيس،
ومحمود أمين
العالم،

أدب ونقد

الثورة، وتتابع معارك الجيل الذى ضحى فى سبيلها من أجل استكمال الاستقلال والحفاظ على الدستور الذى كان أحد أهم مكاسبها، فتفتح وعيها السياسى والوطنى مبكرا، وقادتهما قراءة الصحف إلى قراءة الكتب، ولم يجد العالم صعوبة فى العثور عليها فى مكتبة والده الأزهرى، ووجدها أنيس فى بيت أخواله الذين كانوا قد عرفوا طريقهم إلى الجامعة. ويسبب شغف كل منهما بالمعرفة، فقد شق طريقه إلى دار الكتب، حيث توجد الذاكرة المعرفية للوطن، بحثا عن النادر منها، أو ما تعجز مواردهما عن شرائه.

وقادتهما القراءة فى الأدب إلى كتب الجيل السابق من المنورين الذين مهدت أعمالهم للثورة وواكبتهما : لطفى السيد، وطه حسين، والعقاد، وسلامة موسى، وإسماعيل مظهر، وجورجى زيدان، ويعقوب صروف، وحافظ عوض، وأحمد أمين، وشوقي وحافظ ومطران ... وتابعوا المناظرات الفكرية التى احتدمت خلال الثلاثينيات تطرح سؤال النهضة : هل تتقدم مصر بالعلم أم بالأدب؟ بالاتجاه إلى الشرق أم إلى الغرب؟ بالديكتاتورية أم بالديمقراطية؟ وهل هى فرعونية أم عربية؟ ما العلاقة بين العلم والدين؟ كيف نوفق بين نظرية النشوء والارتقاء وبين ما ورد فى الكتب المقدسة؟

ولابد أن أسئلة النهضة وإشكالياتها كانت تضغط على كل منهما بشكل غير واعي، حين جاء الأوان الذى أصبح عليه فيه أن يختار ما يدرسه فى الجامعة، ومع أنهما كانا يفضلان الجمع بين دراسة العلم والفلسفة، إلا أن النظام الجامعى الذى لا يجيز ذلك، اضطر أنيس لاختيار الرياضيات لدراسته المنظمة، على أن يعتمد على قراءاته الخاصة فى دراسة الفلسفة، واختار العالم أن يدرس الفلسفة، ولكن شغفه بالعلم دفعه لاختيار موضوع لمشروع أطروحته للدكتوراه يجمع بينها وبين الفيزياء.

فى بداية الأربعينيات، وفى ظل الحرب العالمية الثانية، التى حولت مصر إلى معبر لجيوش الحلفاء، أدرك جيل العشرينيات أن ثورة 1919 قد أعطت كل ثمارها بتوقيع معاهدة 1936 استقلال مقيد بمحالفه عسكرية مع البريطانيين، ونظام ملكى شبه دستورى ونصف ديمقراطى، وشعب تعاني أغليته الفقر والجهل والمرض. وفى جامعة الإسكندرية، حيث التحق أنيس بقسم الرياضيات بكلية العلوم، وفى جامعة القاهرة، حيث التحق العالم بقسم الفلسفة بكلية الآداب، كان سؤال النهضة يشغلهم، كما يشغل غيرهما، وكان الجيل منذ منتصف الثلاثينيات قد انقسم بين ثلاثة تيارات، ظل الأول منهما مخلصا للحلم الوطنى الليبرالى فتمسك بمواقفه بين صفوف حزب الوفد، بينما حلم الثانى بإحياء مجد الماضى، سواء فى صورة خلافة

إسلامية راشدة، وهو ما كانت جماعة الإخوان المسلمين تدعو إليه، أم

أدب ونقد

فى صورة الدعوة لإحياء الحضارة الفرعونية، وهو ما كانت حركة مصر الفتاة المفتونة بالصعود السريع للفاشية والنازية، تبشر به، وترفع شعار مصر فوق الجميع.

وكان المشروع الماركسى فى طبيعته الستالينية، هو مشروع النهضة الرابع الذى طرح نفسه خلال سنوات الحرب بعد أن فشلت طبيعته اللينينية، بتصفية الحزب الشيوعى المصرى الأول عام 1923 بعد تأسيسه بعامين. وكان طبيعيا أن يجذب هذا المشروع إليه شابا رومانتيكيا يتعاطف مع الفقراء الذين لم يكن مستوى أسرته الاقتصادى يرتفع عنهم إلا بدرجات قليلة، مثل عبدالعظيم أنيس،. وعلى العكس من محمود أمين العالم، الذى قاده تخصصه فى الفلسفة، إلى موقف مثالى مغرق فى مثاليته، فظل يراوح مكانه فى الصف الوطنى الديمقراطى لسنوات، حتى حسم أمره فيما بعد، فقد قاد التخصص فى الرياضيات أنيس إلى الماركسية، بعد أن قرأ أصولها الفكرية والاقتصادية، وبهر بالنتائج الفلسفية التى استخلصها إنجلز فى كتابه جدل الطبيعة من اكتشافات العلوم الطبيعية.

وهكذا اندفع عبدالعظيم أنيس فى تيار الحركة الشيوعية المصرية خلال النصف الثانى من الأربعينيات : يجند الأنصار ويقود المظاهرات الطلابية ويسهم فى تنظيم الإضرابات العمالية، وكل أصحاب الرسالات، فقد كان معلما بالسليقة، يملك جاذبية أسرة، تمكنه من التأثير فى الآخرين، وقدرة عقلية مذهلة على تبسيط أعقد الأفكار، فاندفع يحاضر فى كل مكان، فى مدرجات الجامعة التى كان قد عين معيدا بعد تخرجه فيها، وفى خلايا التنظيم الشيوعى الذى انضم لعضويته، وفى المنتديات الثقافية العديدة، التى أسستها المنظمات الشيوعية للترويج لمشروعها، وهو ما ظل يفعله طوال سنوات عمره، وهو بين جدران السجن، يعلم الأميين مبادئ القراءة والكتابة فى الصباح، ويلقى عند الظهر دروسا فى الإحصاء والرياضة البحتة، كان يتابعها فضلا عن المؤهلين لفهمها عمال وفلاحون من كوادر الحركة الشيوعية، وفى المساء يلتف الجميع حوله، وهو يلخص رواية من الأدب العالمى.

ولأن الحلم فقد بعض القه، بسبب الصراعات التنظيمية التى مزقت الحركة الشيوعية المصرية، فإنه ما كاد يغادر المعتقل، بعد عامين قضاهما فيه، حتى شد رحاله إلى بريطانيا ليستكمل دراسته، ويعود ليعمل مدرسا بالجامعة، ويواصل جهده فى التبشير بالحلم الاشتراكى من دون ارتباط بتنظيم معين، ويلتقى لأول مرة عام 1953 مع العالم الذى كان قد بدأ يجنح يسارا، وكانت نقطة الاتفاق الأول بينهما هى شكوكهما المتبادلة فى موقف قادة ثورة 23 يوليو من الديمقراطية، أما الثانية، فكانت ولع كل منهما شأن كل أصحاب الرسالات بأن يكون معلما، لا يكتفى

أدب ونقد

بتلاميذه في الجامعة، بل يسعى لمخاطبة القاعدة العريضة من الناس، عبر الصحافة، التي كانت آنذاك جامعة المجتمع كله.

ولم تكن مصادفة أنهما كانا يكتبان في المنابر نفسها، ويتناوبان الكتابة فيها، وتفرغ كلاهما للعمل في الصحافة بين عامي 1956 و 1958 في أعقاب فصلهما من الجامعة، بسبب مشاركتهما في المطالبة بعودة الجيش إلى ثكناته، أثناء أزمة مارس 1954 فعمل أنيس رئيسا لقسم السياسة العربية والدولية في المساء جريدة اليسار التي أصدرها خالد محيي الدين بإذن من عبدالناصر خلال مرحلة التحالف الأولى بين الطرفين بين عامي 1956 و 1958 ، وعمل العالم مديرا لتحرير الرسالة الجديدة المجلة الثقافية التي كانت تصدر عن الدار الصحفية التي أنشأتها الثورة، وفي فترة التحالف الثانية بين النظام وبين الشيوعيين بين عامي 1964-1969 تبادل الاثنان موقع رئيس مجلس إدارة دار النشر التابعة للدولة، وتولى العالم إدارة مؤسسة أخبار اليوم، وشارك أنيس في إدارة دار المعارف.

ويلفت النظر إلى أن الاثنين احتفظا بصداقتهما، على الرغم من التباين في موقفهما من العمل التنظيمي، فأنيس الذي عاد للانضمام للحزب الشيوعي عند توحيد عام 1958 واعتقل خلال الفترة بين 1959 و 1964 ما لبث أن اعتزل النشاط التنظيمي، بعد حل التنظيمات الشيوعية لنفسها لينضم أعضاؤها كأفراد إلى الاتحاد الاشتراكي، بينما عاد العالم إلى هذا النوع من النشاط عند إعادة تأسيس التنظيمات الشيوعية في منتصف السبعينيات وحتى رحيله، بل إن أنيس الذي انضم إلى حزب التجمع عند تأسيسه عام 1976 ما لبث أن جمد عضويته فيه بسبب خلاف حول موقف الحزب من التنظيمات الفلسطينية، مكثفيا بدوره الديمقراطية العام. في حين يبدو العالم في كتاباته النظرية والفكرية وحتى النقدية، شيوعيا أرثوذكسيا، على عكس مواقفه السياسية التي كانت تتسم بالرونة، وإلى حد ما بالبرجماتية، فإن أنيس الذي كان أكثر تحررا من القيود النظرية، كان متشددا في مواقفه السياسية، صلبا في الدفاع عنها، وهو ما يفسره محمد سيد أحمد صديقهما المشترك بالتناقض بين خط أهل العلم، الذين يشغلهم ما ينبغي أن تكون عليه الأمور، حتى لو بدا ذلك مستحيلا، وخط أهل السياسة الذين يرون أنها فن الممكن. أما المؤكد فهو أننا فقدنا رجلين من طراز فريد، كان لهما ظل أخضر وارف، غطي خريطة الأمة على امتداد أكثر من نصف قرن، وسيظل مؤثرا على الرغم من توالي

السنوات ■

أدب وفن

تطور الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم

د / صلاح السروى

عكست بوضوح كدجه الفكرى باتجاه الوصول إلى أكثر الصيغ
المفهومية - الأدبية اتساقاً مع قناعاته النظرية - السياسية والفلسفية
فيمشروع (العالم) النقدى لم يكن له أن ينفصل بأي حال عن
مشروعه السياسى - الفيلسفى النضالى ، وهو المشروع الذى ينطلق من
نظرة جدلية كلية للعالم ، تنفى الانفصال وتنكر التجزؤ ، ومن هنا
كان النضال على الجبهة الثقافية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالنضال على
كافة الجبهات ، ان لم يكن مؤسساً لاتجاهاتها ومرسحاً لقناعاتها
وموجهاً لخطواتها ، وعلى الرغم من كون الثقافة تمثل "البناء الفوقى"
، أى أنها مجرد ناتج عن الوضع الاجتماعى الاقتصادى المتمثل "للبناء
التحتى" ، إلا أن أهميتها لا تقل فى التأثير على مجريات الصراع
الطبقى والاجتماعى والوطنى عن أية أدوات أخرى ، بل ربما سبقت
هذه الأدوات ، فهى الوعى الذى ستنطلق بمقتضاه كل أشكال الفعل
التغييرى المتصور ، فإذا كان النضال السياسى يستهدف القضاء على
الاستغلال والقمع والقهر والانتصار للكادحين من العمال والفلاحين
باعتبارهما الطبقتين الأكثر فاعلية فى عملية التغيير التاريخى ،
والمثلتين للقوى التاريخية الاستراتيجية الدافعة نحو مجتمع أكثر

لقد مرت
الرؤية
النقدية عند
محمود أمين
العالم بعدة

أدب وفن

حرية وعدلا . فان ذلك يستوجب بالضرورة محاربة الأفكار والمفاهيم والقيم التي ترسخ مصالح القوى المعوقة لحركتهما فى اتجاه صنع هذا التاريخ . مثل التقليد والاتباع وتقديس الماضى وشرعنة العبودية والاستغلال .. إلخ . لصالح الانتصار للأفكار والمفاهيم والقيم الممثلة لثقافة التقدم والعقلانية والعلم والحرية والعدل

إنها ، إذن المعركة الكبرى الدائمة - فيما يرى حسين مروة - .. "بين كل جديد وكل قديم ، بين ثقافة تنعكس فيها آراء ومفاهيم وأفكار وقيم تسند مصالح فئة من المجتمع يكاد يتلاشى دورها التاريخى وينقضى . وبين ثقافة تنعكس فيها آراء وأفكار ومفاهيم وقيم تريد أن تدل على مكان فئة تلد فى المجتمع جديدا ، لكى تنقل هذا المجتمع الى دور تاريخى جديد ، ثم لكى ترفع هذا المجتمع الى منزلة أرحب وفضاء أوسع وإنسانية أسمى وحياة أجمل وأفضل . " (١) هذا الفهم للعمل الثقافى العضوى ، غير المنفصل عن العمل السياسى المباشر ، بل والمؤسس لمفاهيمه والقائد لوعيه ، هو نفسه ما يؤكدده العالم وأنيس فى مقدمة الطبعة الأحدث من كتابهما "فى الثقافة المصرية" قائلين :
"فى الأربعينيات وبداية الخمسينيات ، ومع مخاض النضال الوطنى والاجتماعى للشعب فى مرحلة تاريخية جديدة ، أخذت تتجلى فى بنية الأدب وأساليبه مظاهر أخرى تتجاوز مدرسة المهجر ومدرسة أبوللو ، متواكبة ومتفاعلة مع نهوض حركة وطنية ديمقراطية ذات آفاق اجتماعية جديدة ، طبعت هذا الإبداع الجديد بطابع واقعى" (٢) . فالكشف عن طبيعة الأدب الجديد ، أو "الظواهر الجديدة" فى الأدب لم يكن منفصلا عن الكشف عن طبيعة الواقع السياسى الجديد ، والمؤلفان لم يكونا ليعكسان .. "هذا المسعى النظرى النقدي فى الأدب فحسب ، وإنما كان يتضمن (أى مقال الأدب بين الصياغة والمضمون الذى ورد فى الكتاب المذكور) مسعى نقديا اجتماعيا وسياسيا كذلك . فلقد كانت معركة الديمقراطية محتدمة فى مصر آنذاك ، وكان مقالنا ذو الطابع الأدبى الخالص سلاحا من أسلحتها" (٣) وهو ما يعنى أن الحركة الأدبية النقدية الجديدة انما جاءت لتترجم وضعية مثلتها مرحلة تاريخية جديدة ، كانت ذاخرة بالوعود والآمال الكبار فى التحرر والانعقاد واحتدام الصراع بين قوى آفلة ، تحارب معركتها الأخيرة وأخرى بازغة تكاد تقبض على الحلم بيديها ليستحيل واقعا متجسدا تكاد تراه العين وتلمسه اليد . ومن هنا كانت ضرورة استخدام كافة الأدوات والأسلحة ، ومن بينها سلاح الوعى - الفكر والفن والأدب ، سلاح الثقافة .

أدب ونقد

هذا الارتباط الوثيق بين الأدب والواقع . يمكن ترجمته فلسفيا وسياسيا بالارتباط بين البناء الفوقى والتحتى : ويمكن ترجمته كذلك جماليا ونقديا بالارتباط بين الشكل والمضمون . فالوعى لا يمكن إلا أن يكون مرتبطا بالوجود ، وإذا كان الأدب شكلا من أشكال الوعى ، فإن الواقع يمثل الوجود . ومن ثم يصبح التغيير الذى يمكن أن يلم بطبيعة الوجود متطلبا لتغيير مماثل فى أشكال الوعى . فالوعى هو "شكل" الوجود ، والوجود هو "مضمون" الوعى . والعلاقة بينهما حتمية وإن كانت ذات طابع جدلى متغير . يحكمه قانون (الوحدة والصراع) . والسؤال الآن هو كيف تجلت هذه الرؤية فى نطاق الممارسة النقدية عند العالم ؟ وهل اتخذت شكلا واحدا أو طابعا ثابتا لم يتغير أم تطورت وتحولت ؟ وما ملامح هذا التغير ومراحله ؟

من الواضح أن العلاقة بين شكل الأدب ومضمونه (وهو أساس المعركة التى نشبت فى أوائل الخمسينيات) لم تكن بذات الوضوح . الذى رأيناه بين الأدب والواقع ، فلقد لاحظنا أن هناك تسميات متعددة يتم إطلاقها فى مراحل متعاقبة .. من قبيل .. "التكامل العضوى" .. و"التأزر" (٤) . ثم بعد ذلك يتم طرح مفهوم مثل .. "التداخل" (٥) وتارة ثالثة يطرح مفهوم "العلاقة الجدلية" (٦) .

إن رؤية محمود أمين العالم للأدب لم تتوقف عندما طرحه ، هو وأنيس ، فى بداية خمسينيات القرن الماضى ، بل تطورت وتغيرت وأخذت مناخا لم تكن مطروحة من قبل . وذلك إما نتيجة لارتقاء الوعى النظرى (للعالم) وزيادة خبرته ومعرفته بخصائص العمل الأدبى ، وطبيعته النوعية التى تجعله يحمل داخله قانون تطوره النوعى الخاص ، وإن بغير انفصال عن قانون الحكمة الاجتماعية العام . وإما نتيجة للتطورات الهائلة التى طرأت على النظرية النقدية - مناهجها وأجراءاتها ، خلال الربع الأخير من القرن العشرين ، وكان لزاما عليه أن يتفاعل معها على نحو ايجابى ، يثرى فيه رؤيته النقدية ويطورها ، وفى نفس الوقت يسهم فى الارتقاء بالنظر النقدى العربى الذى كاد أن يسلم نفسه بشكل كلى للاتجاهات الشكلانية التى تكاد تبتزأية علاقة بين المنتج الأدبى وخارجه .

وستحاول هذه الورقة دراسة مراحل تطور هذه الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم ، وذلك عبر المحاور التالية :

أدب - نقد

- ١ - تآزر الشكل والمضمون .
- ٢ - تداخل الشكل والمضمون .
- ٣ - جدل الشكل والمضمون .

كان للمقال الذى نشره الدكتور طه حسين فى جريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ٥ / ٢ / ١٩٥٤ دور كبير فى تفجير هذه المعركة الأدبية الكبرى التى نشبت بينه من ناحية ، ومحمود أمين العالم و عبد العظيم أنيس من ناحية أخرى . فقد قدم طه حسين فى هذا المقال تصوره لطبيعة الأدب الذى يعبر - للغرابية - عن تصور المدرسة الكلاسيكية . وهويرتكز على أن : " اللغة هى صورة الأدب ، وأن المعانى هى مادته " ، الى جانب عنصر ثالث لم يفصل القول فيه ولم يحدد موقعه بين العنصرين السابقين ، وربما ذكره بتأثير من وعى رومانتيكى مكتسب من ثقافته الأوربية ، أسماه "عنصر الجمال" (٧) (نص المقال منشور فى جريدة أخبار الأدب بتاريخ ١٨ / ١ / ٢٠٠٩) . وربما كان يقصد أنه ناتج عن العنصرين السابقين : أى اللغة والمعانى .

وخطورة هذه النظرة تكمن فى أنها تقوم على أساس الفصل بين اللغة والمعانى ، بحيث يمكن تصور أن اللغة إنما هى وعاء فارغ يمكن ملؤه بأية معان . وأن المعانى بدورها إنما هى أطياف هائمة تبحث لها عن لغة تتجسدها أو شكل تتلبسه . وهذا أمر يتأبى على التصور المجرد ، أو الواقعى ، فإذا جردنا اللغة من معانيها فكيف يمكن أن تكون ؟ وكذلك الأمر لو جردنا المعانى من ألفاظها ، فكيف يمكن أن نتصورها أو أن ندركها ؟

إنها نواتج تلك الرؤية المثالية التى تقوم على الفصل بين الروح والأشكال ، وتتصور عالما مثاليا هيواليا متعاليا ، ولكنه قد يتعين فى أشكال محددة (٨) .

وفى مقابل هذه النظرة تقوم الجمالية الماركسية على إقامة وحدة جدلية بين الشكل ومضمونه ، فالأشكال عند ماركس تتحدد تاريخيا بنوع المضمون الذى تحققه وتجسده ، وهذا ما يجعلها تتغير وتتحول بتغير المضمون ، فليس .. "للشكل أى قيمة ما لم يكن شكلا لمضمون" (٩) . والعكس صحيح . فالجمالية الماركسية تقوم على ابراز الصلة الجدلية بين الشكل والمضمون وسط واقع لاينى يتحول ويتغير طارحا معطيات وشروطا تاريخية جديدة . وبالتالي مفاهيم ورؤى

أدب - نقد

وتصورات جديدة . ولقد حاول العالم التعبير عن هذا الفهم الماركسى على نحو متطور ونام . كما سبق القول .

١ - تآزر الشكل والمضمون :

لقد استفز مقال طه حسين السابق الإشارة إليه محمود العالم وعبدالعظيم أنيس . فقاما بالرد عليه بمقال . عنوانه : "الأدب بين الصياغة والمضمون" (أدرج ضمن كتاب : "فى الثقافة المصرية" ١٩٥٥) ، حيث يرى الكاتبان ، بداية . أن قصر مفهوم "الصورة" على اللغة فقط ، وقصر مفهوم "المادة" على المعانى فقط ، لا يكشف عن ادراك سليم لحقيقة الظاهرة الأدبية .. "ذلك أن اللغة أداة من أدوات الصورة . فان قصرنا الصورة على اللغة ، فقد تحدثنا لآعن الصورة . بل عن الأسلوب" (١٠). حيث تجرى التفرقة هنا بين الصورة والأسلوب ، أى بين الصورة والطريقة الفنية التى تتجسد بها الصورة . فتصبح اللغة أداة فنية أسلوبية ، تقوم على تجسيد الصورة ، وليست هى الصورة نفسها . إذن ماذا يمكن أن نعنى بالصورة ؟ ان الصورة هى عملية التشكيل الأدبى ذاتها ، انها تلك العملية الداخلية الفاعلة .. "فى قلب العمل الأدبى لتشكيل مادته وإبراز مقوماته" (١١) . فالصورة كيان وظيفى - بناء تشكيلى متفاعل ومتحول أبدا . ان الصورة هى تلك التى تتناول المادة وتعيد بناءها وترتيب عناصرها ، محاولة إياها الى جسد متعين فى شكل محدد له أبعاد واضحة . ووجود منظور محدد أو وجهة نظر واضحة هو الذى يحكم ويوجه هذا التشكيل . ولعل فى هذا مايتفق وما قاله المنظر الماركسى جورج لوكاتش فى كتابه البكر : "تاريخ تطور الدراما الحديثة" (١٩١١) من أن .. "الشكل هو العنصر الاجتماعى الحقيقى فى الأدب" (١٢) . أما المادة فهى ، بدورها ، ليست المعانى ، فيما يذهب طه حسين ، بل هى أحداث .. "لا من حيث هى أحداث وقعت بالفعل ، ويشير العمل الأدبى الى وقوعها ، بل هى أحداث تقع وتحقق داخل العمل الأدبى نفسه ، ويشارك التذوق الأدبى فى وقوعها وتحققها ، وهى بدورها عمليات متشابكة متفاعلة يفضى بعضها الى بعض افضاء حيا لا تعسف فيه ولا افتعال" (١٣) . من هنا تصبح المادة هى مكونات العمل الأدبى ووحداته الممثلة لكينونته وجوهره ، انها عناصره الجوهرية التى يجرى تشكيلها وتحويلها على يد الأديب . ويمثل العالم لهذا المفهوم بمثالين : الأول من الرواية . والثانى من الشعر . فى مجال الرواية يختار رواية "عوليسيس" لجيمس جويس . ويقوم بتحديد مضمون الرواية أو مادتها بأنه .. "هو الانهيار والتناقض والتفسخ

أدب ونقد

والانحلال الذي تتميز به الحضارة الحديثة وأبطال الرواية عناصر مريضة مهزومة يحركها الانحراف والشذوذ وتجمعها الفجيرة الحضارية الواحدة" (١٤) . أي أن مادة الرواية هي ما يتمثل في مفاهيم وتحولات ورؤى وتصورات تحكم حركة الشخصيات وتوجهها . من ناحية . وتعتمل في عوالمهم الداخلية . من ناحية أخرى : على نحو يتوازى مع ما يحدث في الواقع الخارجى وينتج عنه في ذات الآن .

وبالطبع يأخذ العالم على جويس أنه قد أبرز جانباً واحداً ، ألا وهو الجانب المنهار من الحضارة الغربية . دون الجوانب الأخرى .. "المتريقية والنامية من هذه الحضارة" (١٥) .. حسب قوله . وهو الأمر الذي ينطبق على (تى . اس . إليوت) : في مجال الشعر ، خاصة في قصيدته "الأرض الخراب"

ان مادة العمل الأدبي ، إذن ، يمكن أن تكون متضمنة في مفهوم "المنظور" perspective الذي طرحه (جورج لوكاتش) وطوره من بعده (لوسيان جولدمان) الى مفهوم "رؤية العالم" worldvision . حيث يمثل الوعي بالذات والوجود والرؤية المتطورة النافذة للعالم ، الخاصة بالكاتب مدخله الرئيسى و مادته الأساسية لبناء عمله الفنى . وبدون هذا الوعي وتلك الرؤية لن يجد الكاتب مايقوله : أو سيقول ما لن يستطيع النفاذ الى الوضعية الانسانية فى أكثر تعيناتها صدقا وحقيقية . حيث يمثل الكاتب هنا بوعيه وانحيازاته ليس مجرد ذاته المفردة . لكن يمكنه أن يعبر عن طبقة اجتماعية أو شريحة انسانية كاملة (١٦) .

ورغم أن طه حسين يؤكد على أن صورة الأدب ومادته لايفترقان ، أو هما شيء واحد (١٧) ، وهو مايتفق معه فيه (العالم) ظاهريا وجزئيا ، إلا أنه ينفى كون الأدب مجرد تكوين من ثنائية اللغة والمعنى ، كما أسلفنا . كما أن الصورة والمادة - على إطلاقهما - ليستا مجرد عنصرين متجاورين ومتلازمين . بل هما ، معا ، يمثلان مركبا عضويا .. "يتألف من عمليات بنائية تتكامل فيها الصورة والمادة تكاملا عضويا حيا" (١٨) .

ان هذا التكامل هو نفسه ما يسميه "تأزرا" فى موضع آخر ، ويعتبر أن وجود هذا التكامل و التأزرا إنما هو من سمات الأعمال الجيدة ، أما الأعمال الرديئة فهي التي تختل فيها هذه العلاقة ، ويمثل على ذلك بالسيرىالية والمستقبلية

آدب ونقد

(١٩)



ولعلنا نلاحظ فيما سبق سيطرة النظرة القائمة على التمييز الحاد بين الصورة والمادة . خاصة عندما يقول : " أن الأدب صورة ومادة ما فى هذا شك " (٢٠) ، وأن العلاقة القائمة بينهما إنما هى علاقة عضوية قائمة على التآزر والتكامل .. مع ملاحظة ما فى هذه العلاقة من استقلال نسبي لكل منهما عن الأخرى ، بحيث يمكننا تصور أنهما يمكن ألا يتآزرا أو يتكاملا فى الأعمال الضعيفة (التى تركز على الشكل دون غيره) وهو على أى حال لم يشرح هذا الأمر . واكتفى بذكر مثالى : السيرىالية والمستقبلية .

ان هذه النظرة ، ان كانت منطلقة من أسس ماركسية - مادية جدلية ، إلا أنها تبدو كما لو كانت تكتشف مناطق جديدة وتبشر برؤى غير معروفة من قبل . وأظن أن العالم هنا - فى هذه المرحلة - لم يكن يقدر أن يتبع له الاطلاع على على دراسات بليخانوف أو لوكاتش وكبار منظري الأدب فى الماركسية ، بحيث جاءت نظرتهم تركيبية ، أكثر منها جدلية .

ولسوف تتواصل هذه النزعة فى المرحلة التالية ، وان كان على نحو مختلف .

٢- تداخل الشكل والمضمون :

ومن جديد يثير محمود أمين العالم قضية الصورة والمادة فى كتابه " تأملات فى عالم نجيب محفوظ " (١٩٧٠) لكى يعدل قليلا من ما توصل إليه سابقا باتجاه محاولة إيجاد علاقة أكثر عمقا وأكثر وثاقة بين (الصورة والمادة) ، فهما هنا ليستا متكاملتين ومتآزرتين ، بل ان الصورة لا يمكن فصلها عن المضمون ، تكاد تتماهى معه . فيشكلان معا وجودا واحدا لا يمكن تجزئته ولا التفريق بين عناصره . يقول : " ان صورة الشيء لا تكاد تنفصل عن حقيقة ادراكه بل عن حقيقة وجوده كذلك " (٢١) . فما من عمل " بغير صورة ، بغير شكل ، بغير صياغة " ، حسب قوله مستطردا فى صدر الصفحة التى جاء فيها الاقتباس السابق . مسويا فى ذلك بين كونه من أنصار الفيلسوف الألمانى (ايمانويل كانت) المثالى القائل بأن الانسان هو الذى يضع الحدود الادراكية والتصورية للأشياء ويصوغ لها مقولاتها وقوالبها ، وبين كونه مختلفا عنه عندما يعتقد بأن صورة الشيء ومقولته الادراكية والتصورية ، جزء من من طبيعته الموضوعية . مقرا بأنه فى كلتا الحالتين لا يمكن معرفة الأشياء بغير صورها . فتصبح صورة الشيء غير قابلة للانفصال عن حقيقته ، بل هى جزء من هذه الحقيقة . ورغم الفارق الواضح بين النظرتين ، من حيث الأولى تتحدث عن مجرد الادراك

أدب ونقد

الذى قد يكون ذا مستويات ودرجات مختلفة . لاعن الحقيقة الموضوعية التى توجد بذاتها وفى ذاتها بصرف النظر عن درجة الوعى بها . الا أن هناك تأكيدا واضحا فى نهاية المطاف ، يقضى بعضوية العلاقة بين الصورة والشيء . الا أنه يردف ذلك مباشرة بقوله : "فهناك من الأشياء ما يرتبط وجودها ارتباطا وثيقا بصورتها ، وهناك من الأشياء ما قد تتخلخل فيه هذه الرابطة ولا تستقر" (٢٢) . ان حرف "الفاء" فى كلمة "فهناك" يسمى فى اللغة العربية "بالفاء الاستثنائية" ، وهى تعنى الاقرار بما جاء قبلها . ومن ثم عليها الاتيان بالدليل على صحته بما بعدها . غير اننا نلاحظ تزعزعا واضحا فى العبارة الأخيرة فى علاقتها بما جاء قبلها . فالعالم يحاول التدليل على صحة أن هناك من الأشياء ما قد تتخلخل فيه الرابطة بين الصورة والشيء بالفارق بين الشجرة والسحابة ، فالشجرة يرتبط شكلها بوظيفتها وهو شكل مستقر ومستمر باستمرار الوظيفة واستقرارها ، أما السحابة فان قابليتها لتغيير شكلها لا نهاية له .. " فقد تكون وجه طفل ، أو هيكل امرأة عجوز ، أو عربة غليظة ، أو زهرة شفافة" (٢٣) ، ثم يعود بعد ذلك ليقرر أن هذا التغيير الصوري - الشكلى للسحابة ، انما هو فى النهاية يمثل صفة شكلية لها ورمزا من رموزها . وهنا يحق لنا أن نتساءل عن جدوى مقارنتها بالشجرة مادامت الحصيلة واحدة فى النهاية .

ويبدو أن هذا الأمر كان استطرادا تفصيليا أملاه السياق دون حاجة ضرورية إليه . لأنه يردف ذلك ، فى الفقرة التالية مباشرة ، بإعادة التأكيد على العلاقة الصميمية بين الشكل والوظيفة ، مدلا هذه المرة "بالعجلة" ، من زاوية الارتباط الحتمى بين شكل العجلة ووظيفتها . فالاستدارة ليست مجرد اطار خارجى ، بل هى ملمح أساسى من وجودها .. "ويحقق وظيفتها ، ويبرز فاعليتها ، وبغير هذه الاستدارة الشكلية ، تفقد العجلة وجودها (..) بل تصبح موضوعا آخر ، وظيفة أخرى ، وجودا آخر" (٢٤) . وهو الأمر الذى يمكن أن ينطبق على على باقى الموجودات الأخرى ، من الدبوس الى الصاروخ ، بحيث يصبح أى تغيير فى شكل المادة بمثابة تغيير فى موضوعها كذلك .

ورغم الرائحة الأرسطية التى يمكن أن نشتمها فى هذا الطرح ، من حيث اعتبار أرسطو أن الصورة أهم علة من علل وجود الشيء . ورغم اقرار العالم بقرب هذا الطرح من أرسطو ، الا أنه يعهد الى الكشف عن طبيعة العلاقة الكمية التى تربط بين العلل الأربع لوجود الشيء ، ومنها علة الصورة ، واغفال

أد-وقف

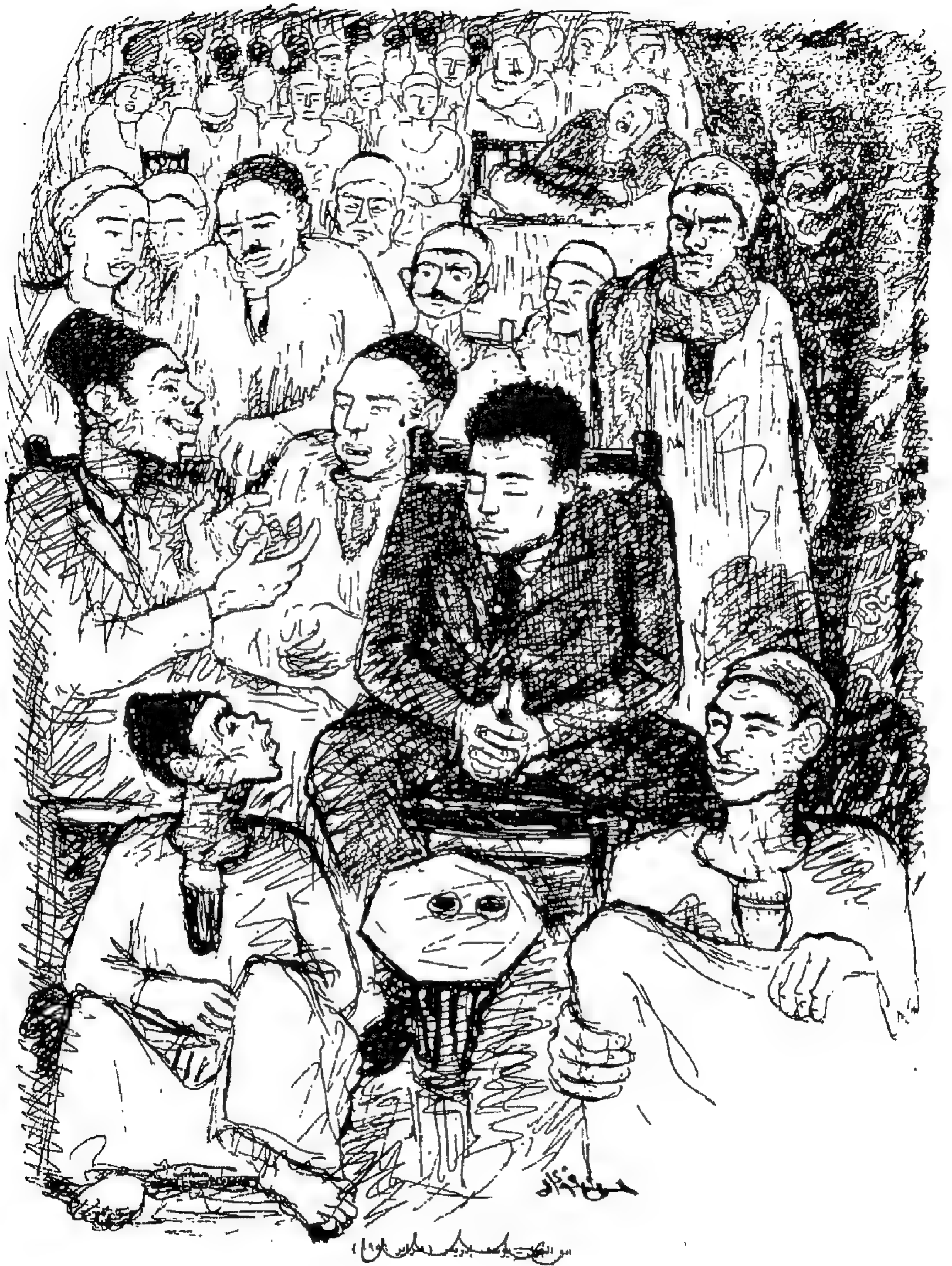
علاقة التفاعل القائمة بينها . ولكن بما لا يخفى اعجابه بهذا الاحتفال بالصورة عند أرسطو وإذا جئنا لتطبيق هذا الطرح على الأدب فإنه يؤكد أن الصورة أو الشكل تكاد تمثل جوهر العمل الأدبي . يقول : " أن الصورة أو الشكل أو الصياغة في الأعمال الأدبية والفنية تكاد تكون جوهر ما يكون به الأدب أدبا والفن فنا .

وهنا يصبح الشكل بالنسبة للأدب والفن هو الذى يجعل منه أدبا وفنا . ذلك أن موضوعات الأدب متوارية وكامنة فى نفوس الناس أو واقعهم الاجتماعى ، ولكنها عند هذا الحد لاتعد أدبا أو فنا . أما اذا توفرت لها الأديب والفنان وقام على طرحها وتشكيلها فى قصيدة أو قصة أو ماشابه فإنها عندئذ تعد أدبا أو فنا . ان هذا التشكيل وهذه الصياغة هما الفارق بين كون هذا الموضوع أدبا - فنا أو غير ذلك . واذا كانت جميع أجناس الأدب والفن فيها من الطبيعة والوجود المعاش ما يمثل موضوعا لها . فان الموسيقى تتفرد هنا لأن موضوعها هو شكلها فى نفس الآن ، وهى .. "علاقات شكلية بين الأصوات وتنويع وتنمية لها وارتفاع بها الى مستوى رائع من البناء التجريدى" (٢٥) . والعالم لا يقصد بالطبع ان الموسيقى نوع معزول عن الواقع الانسانى . انما يأتى بها باعتبارها مثلا يمكنه أن يكتف فى دلالة تلك الوظيفة المانحة للشكل أو الشكل المؤهل للوظيفة . حيث لا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون . وان كان يميز بينهما فقط .

ثم يعود للتأكيد على النقطة التى سبق ذكرها فى المحور الأول من هذه الورقة من أن الأعمال الجيدة فقط هى التى يتسق فيها الشكل مع مضمونه ، والعكس فى الأعمال الرديئة . وذلك مثل روايات ديكنز وفلوبير وكافكا ، والعكس فى الحرب والسلام لتولستوى ، التى رغم قوتها وعظمة بنائها ، لكنها مليئة بالاستطرادات والتزييدات التى لا تتطلبها (المعمار) الروائى .

رغم هذه الوحدة العميقة بين الصورة والمضمون (فالصورة تكاد تمثل جوهر الأدب كما سبق) . رغم ذلك فان بعض النقاد ينحون الى محاولة الفصل بينهما فى مقابل من يحاول التوحيد المطلق بينهما مثل بينيديتو كروتشة . والعالم لا يقر آيا منهما ، لأن كلا الفريقين قد فهم الشكل على أنه مجرد الصورة أو الصياغة . الا أن الشكل عند العالم أعمق من ذلك ، فهو : "عملية البناء الداخلى

أدب ونقد



ومنهج تنمية الفكرة والموضوع والمضمون ، هو المعمار الداخلى للعمل الأدبى أو الفنى" (٢٦) . ألا يردنا ذلك الى ماورد فى المحور الأول من أن الشكل هو "العملية الداخلية الفاعلة فى العمل الأدبى". حيث يمثل الشكل عنصرا أعمق من مجرد الملامح الخارجية الى أن يصبح عملية البناء والتكوين والتطوير بما يمنح العمل الأدبى خصوصيته الأعمق من مجرد اتباعه لمظاهر تشكيل خارجية .

ولعلنا نلاحظ هنا تقدما واضحا فى فهم طبيعة العلاقة بين الشكل والمضمون ، فهى ليست مجرد تآزر وتكامل ، ولكنها أعمق بحيث يمكن أن يصبح الشكل هو المحدد للماهية والوظيفة معا ، انه المحدد لمظهر وجوهر الشئ والعمل الأدبى . كما يبرز بوضوح وجلاء فى هذه المرحلة المصطلحان المترادفان : "المعمار" و"البناء" باعتبارهما جوهر الشكل ، وليس مجرد المظهر الخارجى له . وان بقى التفريق بين الأعمال الجيدة والرديئة على أساس قدرة الأولى على تحقيق التماهى بين الشكل والمضمون وعجز الثانية عن ذلك .

٣- جدل الشكل والمضمون :

ويبدو أن العالم لم يكن مطمئنا بالقدر الكافى لما توصل إليه فى الكتب السابقة حول قضية الشكل والمضمون ، فاذابه يثير ذات القضية من جديد فى مقدمة كتابه "ثلاثية الرفض والهزيمة" (١٩٨٥) ، بحيث تأخذ هذه القضية ما يربو على الثلاثين عاما من عمر محمود أمين العالم منذ أول مرة أثيرت فيها عام ١٩٥٤، وحتى هذا الكتاب ١٩٨٥ .

وهذه المرحلة الجديدة وان لم تكن منفصلة عن المرحلتين السابقتين ، من حيث الابقاء على ثنائية الشكل والمضمون والتمييز بينهما ، إلا أن الجديد هنا يكمن فى إعادة تحديد طبيعة العلاقة بينهما ، فهى ليست التآزر والتكامل ، ولا التداخل والتماهى ، وانما هى "علاقة جدلية" ، تقوم باعتبارها قانونا عاما يحكم كل ابداع أدبى (٢٧) . وقد يكون من الغريب أن يذكر هنا لأول مرة مصطلح "العلاقة الجدلية" من قبل مفكر لا يتوقف عن التأكيد على منطلقاته الماركسية - المادية الجدلية . ولكن ما يبرر ذلك ويسوغه هو ما ذكرته من أن مراحل الفكر النقدى عنده تتطابق مع مراحل تطوره

السياسى - الفلسفى العام .

أدب وفن

فى هذه المرحلة يعيد العالم التأكيد على ما غدا من الثوابت عنده ، من أن خصوصية الأدب تكمن فى صياغته أو هيكليته أو بنيته ، الا أنه ينطلق الى أبعد من ذلك ، الى التأكيد على أن الأدب إنما هو بنية دالة ، ولهذا فهو ليس معطى فى ذاته رغم خصوصيته .. "بل هو معطى دال ، وبالتالي غير معزول عن معطيات أخرى (...) والنص الأدبى كذلك رغم خصوصية صياغته وبنيته ، هو بنية داخل ابنية أكبر ، ولحظة داخل سياق زمنى وتاريخى ، وهو معلول للملابسات نشأته النفسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية ، وهو معطى دال فعال ومؤثر فى هذه الملابسات نفسها " (٢٨) .

حيث نلاحظ هذا الربط بين الأدب والظواهر ، أو لنقل ، العوامل ، الثقافية والاجتماعية المكتنفة له ، لا من حيث التماثل ، كما رأينا فى المرحلة السابقة (الشجرة والسحابة والعجلة ..) بل من حيث علاقة الوحدة والصراع الرابطة بينهم ، العلاقة الجدلية القائمة على الترابط والوحدة وتبادل مواقع الفاعلية والمفعولية بين هذه العناصر جميعا . فالأدب ناتج عن واقع اجتماعى ونفسى وثقافى ، وفى نفس الآن ، هو عنصر فاعلية وتأثير فى كل أشكال هذا الواقع . وهذا الفهم لم يكن غائبا ، بالطبع ، فى المرحلتين السابقتين ، بيد أنه لم يكن فى بؤرة التركيز .

كما نلاحظ استخدام مفردات ومصطلحات جديدة على قاموس (العالم) ، مثل مصطلح "بنية" و"هيكل" و"بنية دالة" .. الخ ، وهى ، كما هو واضح ، ناتجة عن عن التأثير والتفاعل مع الموجة البنيوية التى ظهرت فى النقد العربى ، بدءا من أوائل الثمانينيات ، مع اصدار مجلة فصول الفصلية القاهرية . غير اننى هنا لابد أن أؤكد على أن علاقة العالم بالبنيوية واطلاعه عليها سابق على هذا التاريخ بحوالى سبعة عشر عاما ، فلقد كان هو أول من تحدث عن البنيوية وأسمائها بالهيكلية ، قبل أى كاتب عربى آخر عام ١٩٦٣ . الا أنه الآن يبدو أعمق فهما وأكثر وعيا وهضما لهذا الاتجاه ومشكلاته النظرية والتطبيقية وعناصره الايجابية ، فى ذات الوقت . حيث نلاحظ ما يشبه التبني لأحد فروع البنيوية الأقرب الى قناعاته النظرية ، ألا وهو "البنيوية التوليدية" ، والمسماة أيضا "بالتكوينية" ، التى نشأت فى فرنسا على أيدي رينيه جيرار ولوسيان جولدمان فى بداية سبعينيات القرن الماضى ، متأثرة بجهود جورج لوكاتش أحد أهم منظرى علم الجمال الماركسى فى القرن العشرين .

أدب ونقد

ان هذا التحديد لطبيعة النص الأدبي ولعلاقته بمعطيات الواقع الأخرى ، ليستتبع تحديد طبيعة العلاقات داخل العمل الأدبي ذاته ، بين شكله ومضمونه ، أو بعبارة أكثر عصرية ، بين بنيته ودلالته . بحيث نفهم أن البنية إنما هي مرادف الشكل أو الصياغة ، وأن المضمون إنما هو مرادف الدلالة . هل هذا هو المقصود فعلا ؟ أم أن هناك معنى آخر يتجاوز ذلك ؟ ان الأمر بالفعل لم يعد . يقف عند الصياغة المضمون أو ما شاكل ، بل حدث نوع من من الاندماج الجلى الذى لم تعد معه التفرقة ممكنة ، بل حل مصطلح جديد واحد ألا وهو "البنية الدالة" ، التى تعنى التشكيل الفنى للنص الأدبى المحدد ، بما يمنح "رؤية للعالم" على نحو محدد .

وهنا أيضا يجرى التأكيد على مصطلحات قديمة - متجددة لم تكن مستخدمة فى قاموس محمود العالم فى السابق ، مثل "الخاص" و"العام" ، من حيث تمثيلها لطرفى العلاقة الجدلية المتمثلين فى : التجربة الفردية الذاتية الخاصة (سواء أنتجت أدبا أو مجرد تجربة حياتية عادية) ، والمتغير الاجتماعى - التاريخى العام ، الذى يفرض معطياته على الجميع . هنا يجرى استخدام هذين المصطلحين فى مجال الأدب . فإذا كانت العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون تمثل القانون "العام" ، فإن لهذه العلاقة خصوصيتها .. "بالنسبة لكل عمل أدبى على حدة" (٢٩). ولا تتحقق هذه العلاقة "العامة" إلا عبر ما هو "خاص" ، بما يعطى أشكال تحقق هذه العلاقة أفاقا لأحدود لها قلا نهاية . ان هذا التجلى الخاص نفسه هو الذى يعطى ، بدوره ، القانون العام صفته الزمنية والتاريخية المحددة ويجعله نسبيا وإنسانيا وليس مجردا أو مطلقا .. يقول العالم : " وإذا كانت الدراسة الأدبية (...) تسعى حقا لتحديد القوانين العامة للإبداع الأدبى تحديدا علميا دقيقا ، فشرط علميتها هو تاريخيتها كذلك ، أى خصوصيتها المشروطة تاريخيا " (٣٠) .

هكذا يجرى الاتساق والانسجام بين العناصر المعرفية المحددة لطبيعة الظاهرة الأدبية من حيث شكلها ومضمونها ، ومن حيث العلاقة بين الأدب وغيره من المعطيات الاجتماعية - التاريخية والثقافية ، ومن حيث النظرية العامة وخصوصية التطبيق . فينتظمها جميعا قانون الجدل .

ومن ثم ، تتحرر العلاقة بين الشكل والمضمون لتصبح مندرجة ومتماهية فى علاقة مع كل أشكال الوجود ، علاقة ذات طابع تاريخى زمنى ، تتحرك فى **أدب - نقد** صيرورة دائمة ، وفى أخذ وعطاء لا يتوقفان .

ومن ثم ، أيضا يتحرر الأدب من سجنه فى خانة الشكل وينجو من فخ أن يكون مجرد لعبة لغوية جوفاء ، لكى يصبح مصدر امتاع واغناء لوعى الانسان بذاته وعالمه . وكذلك يتحرر من أن يكون مجرد بيانات أو وثائق لا أثر للجمال فيها ، وصولا الى أن يكون بناء فنيا جماليا دالا .

هكذا تتواصل الرحلة المتطورة للكدح الذهنى المخلص والدؤب والصادق العزم ، المليئ بحب المعرفة وعشق الحقيقة ودوام التعلم ، عند الأستاذ الجليل محمود أمين العالم . لكى تصبح سيرته هو الخاصة تمثيلا للتمسك بالنظرية العامة ، ثم التحول النسبى داخلها ، حسب المعطيات المعرفية والتاريخية لزمن كل مرحلة .

الهوامش :

- ١- حسين مروة ، مقدمة كتاب فى الثقافة المصرية ، ط١ ، دار الفكر الجديد ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٣ .
- ٢- محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس ، مقدمة كتاب فى الثقافة المصرية ، ط٢ ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٧ .
- ٣- نفسه ، ص ١٧ .
- ٤- المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- ٥- محمود أمين العالم ، تأملات فى عالم نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٢ .
- ٦- محمود أمين العالم ، ثلاثية الرفض والهزيمة ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٥ ص ٤٤ .
- ٧- نص المقال منشور فى جريدة أخبار الأدب القاهرية ، بتاريخ ١٨ - ١ - ٢٠٠٩ .
- ٨- أنظر: فريدريك هيجل ، محاضرات فى فلسفة التاريخ ، الجزء الثانى (العالم الشرقى) ، ترجمة امام عبدالفتاح امام ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٨ .
- ٩- تيرى ايجلتون ، الماركسية والنقد الأدبى ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، يونيو ١٩٨٥ ، ص ٢٧ .
- ١٠- فى الثقافة المصرية ، سابق ، ص ٤٠ .
- ١١- نفسه ، ص ٤١ .
- ١٢- جورج لوكاتش ، تاريخ تطور الدراما الحديثة ، بالمجرية ،

أدب ونقد

بودابست ، ١٩١١ ، ص VI.

- ١٣ - فى الثقافة المصرية ، سابق ، ص ٤١ .
- ١٤ - نفسه ، ص ٤١ .
- ١٥ - نفسه ، ص ٤٢ .
- ١٦ - راجع : البنيوية التكوينية والنقد الأدبى ، مجموعة مؤلفين ، مراجعة محمد سبيلا ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ١٧ - فى الثقافة المصرية ، سابق ، ص ٤٠ .
- ١٨ - نفسه ، ص ٤٤ .
- ١٩ - نفسه ، ص ٤٤ .
- ٢٠ - نفسه ، ص ٤١ .
- ٢١ - تأملات فى عالم نجيب محفوظ ، سابق ، ص ١٢ .
- ٢٢ - نفسه ، ص ١٢ .
- ٢٣ - نفسه ، ص ١٣ .
- ٢٤ - نفسه ، ص ١٣ .
- ٢٥ - نفسه ، ص ١٥ .
- ٢٦ - نفسه ، ص ١٦ .
- ٢٧ - نفسه ، ص ١٩ .
- ٢٨ - ثلاثية الرفض والهزيمة ، سابق .
- ٢٩ - نفسه ، ص ٢٢ .
- ٣٠ - نفسه ، ص ٢٣ .
- ٣١ - نفسه ، ص ٢٣ .

أدب ونقد

السيدون المصطفى

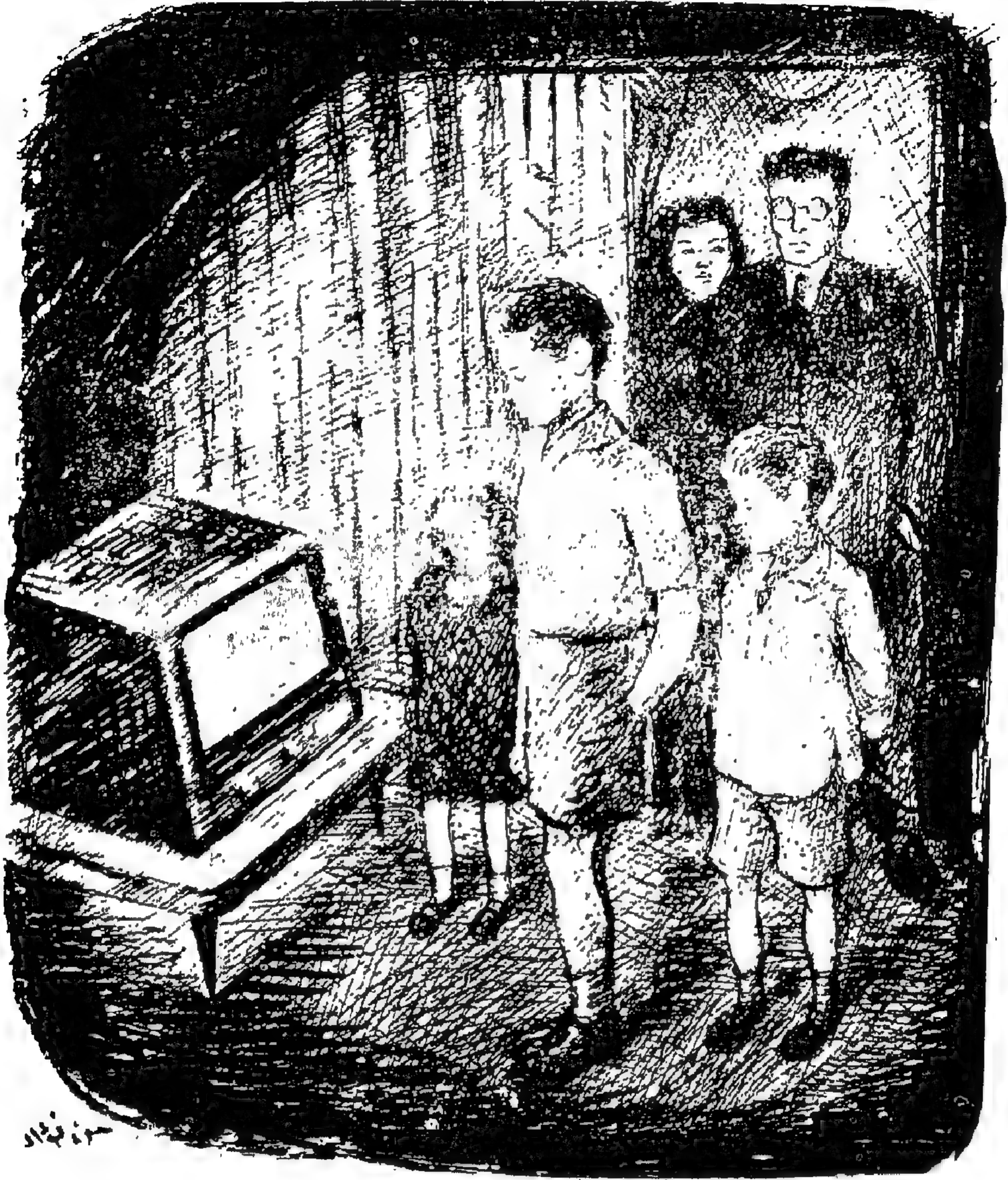
التوأم

تحية وداع إلى العالم وأنيس



شعر:

عبد الرحمن الابنودي



لا بادعى بالقول ده إني ثوري
ولا باغير في السفر مشروعي
أنا الشيوعي يقول عليا: «حكومي»،
وأنا الحكومة تقول عليا: «شيوعي»،
وأنا بس واحد من بتوع الأذان.

أدب ونقد

التوأم

وانتو الحقيقة لسه ما غبتوش.
هل كان رحيل بالغضب والأشواق؟
أقولكم
بالنسبة ليكو الموت مافيهش فروق
د. أنيس:

واحد.. ورا واحد.. ورا واحد
كتر العدد.. يابا
وأنا احترفت كائن.. ندابة

xxxx

زغب الجناح الاصفر برغم السن
مازال بجده هناك.. فى شقته اللى
فوق
طفل الحقيقة الطاهر المدهوش
بيغنى وخذانى لكين
واقف فى قلب الجوق.
كل الحاجات كانت
كل الرجال.. كانوا
(محمود)

عمال بنرشي متنا.. فينا
واشك لما نموت
حنلاقي صوت، حقانى، يرثينا
وصدقونى..
ماهيش صداقة
ولا قلم.. وكتابة!!

xxxx

عبرت سنين الحلم.. ما عبرتوش
السوق بيفضى.. وانتو ما بعتوش ولا
اشتريتوش

مازال.. بيحز فى اسنانه..
على معنى هريان منه فى لسانه
وايديه..

كانه كان ناقصها عروق!!

xxxx

ومهما كان ما كان
ومهما كان ما اتى..
ومهما لاج الفرق فى الأزمان
يمنعنا نقرأ صفحة المساجين مع

وكانكم.. ماجيتوش
الموت.. طلع أصلا.. ما يعرفكوش.
وقفتموا قدام ببيان الجنة ما دخلتوش
الصوت هو الصوت
الشك كان فى الموت
والموت.. طلع أصلاً ما يعرفكوش.
الموت ما يعرف إلا أحبابه

إلى إذا غابوا.. خلاص

أدب وفد غابوا

السجان..

كما بنفعل غالب الأحيان؟

إحنا اللي ما بننسا ش.

وفى سلاسل العبيد

مصر العزيزة قدمتكم

تخلقوا الفجر الجديد.

يا أعز رمز ويا..

أجمل نجوم المحابيس.

فى الهلاهيل متكلفتين

ميش منحنين

يومين هنا ويومين هنا

وتوطئوا علشان الدخول

مش انحنأ..

عالم خبيث

دوره يدور حوالينا دورائه الخبيث

وهب الشجاعة للجبان.

يعنى اتطاردتوا وجمعتوا واتسجنتوا

وكل ده.. علشان

يركب على رقابتنا فلان وفلان

وفلان يجيب علان

ولكل واحد.. حته م السلطان

أهين يا أحبابى

وفجركم ما فضلش من أصدائه

إلا أذان

والفقرا بيظا طوا لحد الأرض

ساعات صلا

وساعات هوان

أدب ونقد

xxxx

وانتو الكتب

اللى بتحلم.. تتقرا

شرف المبادئ فى العرا

وذكريات السلسلة والإسورة

حلم المداين والقرى

بحر الزنى والسمنسة

لما اتفلت

جانب اللي ورا قدام

واللى قدام راح ورا

سكن الدرا

أعز رجالات قدمتهم أرض

وترجعوا بالذاكرة

للى تراجع.. واللى خان

والنجمة ع الكتف المهان

وصرخة الجان الجبان

وهوه متحنجل وعايق ع الحصان

ما أشجع السجان

ما أشجع السجان...!!

ولأول امبارح ويا المخصوص

كنتوا ومازلتوا بتلضموا الفصوص

وتشكلوا منها التصوص

ولسه يمكن مؤمنين

بالحق.. فى زمن اللصوص.

يا أبهات..

مين راح يقولكم للولاد وللبنات؟

مين خلف خطأ ويكم يغوص؟

مين راح يفتتكم إلى ذرات؟

إيه لينا فى الزمن اللي جاي

وما عادش ينفع القديم؟

صوتكم رقيق

ما كانش ليه زاعق قوى بحق وحقيق
دى أمه ما يصحّيها لهمومها التتقال
إلا الزعيق..

والأهمستوا لأنكم كُتّاب؟

الوعى يطوى الصوت يهذب الصخب
هيّه كده حرّف الأدب

صوتكم رقيق

تشفّوا زى القلب ما يكون خالى

يمكن قصدتوا تجسّدوا

صورة وفكرة، الرفيق..

وحتى بعد الكلمة ما صارت ويا

والنطق بيها صار غبا

أحسنتما

لكنها..

مش حتسامحكم ع الرحيل

ياللى انطلقتوا للبراح

لما رأيتوا الكون علينا.. راح يضيق

يضيق

يضيق

مع إنكم يا مخلصى المتصوّفين

واخدين على الخلوة

واخدين على العزلة

واخدين على العتمة

وزمّمة المساجين!!

xxxx

أدب ونقد

ما أشبه العشاق بالطيور

بل تشبه العشاق خيوط النور

الجاية من يَم السماء

طيور بتعلا كأنّها تراتيل صلاة

طيور تداعب أرضها.. بالنقر

إذا كانت الصباحات، شتا، دافية

الدفع حلو فى الشتا

وأحلا من نسمة تشق الصيف

ده بعض مما أملكه من الغباء

وأنا.. عندى كمية غباء.. وافية

طيور تكلم أرضها بالنقر

تبحث فى رزق الله

صدفة بدون تدبير

طيور قليلها كثير

إذا كانت الصباحات، شتا، دافية

وعلى قناة صافية

تعب الماء..

ما عادش بيت الشعر

شطر وشطر

وافتو عاوزينه دواء.. للداء

لكنه بحساب ملتزم.. ويتقدّر

ماهوش على نفس الميزان.. إياه!!

xxxx

كنا فى قلب الخمسينات

كام فات من الأعوام وم الأيام

أدى اللى جنيناه

كله طرّف غمام

لا يتمسك باليد

ولا هو ينفع حد

لكن راهنا وكان رهان صايب

رؤحنا له بالإلهام

كسبنا أرض الشعر

وأرض مصر

كسبوها طبعاً منّا الحكام

ولا قالولنا بكام

ولا حتى سألونا..

إن كان عجينا السعر!

أبدا ما كانشى ذهنا غايب

أبدا ما كانشى جهدا غايب

أكلنا بعض فى وقت ما هم

بقوا اهل وحبائب

وشركا ونسائب

عصبة وايد

راح القديم يعمل جديد

واحنا..

ندور فيها.. ندور فيها.

نجر سواقها

تجر أكتافنا الحبال

الى يقولك: يا عميل

واللى يقول: يا خال

فى العالم المهتز

فى العالم المبتز

لكن قسرع الأرض وعلينا

نزويها.. نزويها

المية ليهم واحنا لينا الحز

بنمشى بيه نعتز

بكل ما عشناه بنهايز

أدب ونقد

يا شعبنا الصابر

الأنبيا.. ما بيكبروش فى السن

وفى عواصف الألم

وفى مزادات الأنين العام

مين يستمع للى يئن؟

xxxx

قاصدين رحيلكم يتحسك

رحيل بيسبق

أو قصد يسبق رحيل، غزوة

وهيه بتنجلد!!

تسند جسد على الجدار

وتسلم الروح فى سكات

وتطير قلوبنا زى عصافير الشتا

وطير الشتات

ونختفى كلاً.. فى عين الجن

عاش والآ مات

زى النبات

الأنبيا.. ما بيكبروش فى السن.

كما يولد الليل النهار

إذا البكن قرر.. يكن.

إذا البكن

حاول يموتهم.. فمات

اظن!!

xxxx

الغدير المزحوم



تتصارع الفكرة مع الفكرة

كان صرة الصحرا..

صحيح عزيز النوم

لكنه متصبر بفكرة

انتظار بكرة

اليوم بعد اليوم

بكره الى أبعد م المدى والنضيبكره..

ربيع الغلابة واكتفا المظلوم

آه يا امتداد الرمل

عصارة الروح وانتباهات الزمن

هاربين من الوطن البعيد

والأ هرب بيكو الوطن؟

كنا فرادى..

السجن.. لم الشمل

نفتكروا أحبابنا القدام

نكتب رسايلنا فى وش الرمل

ونفكروا فى تحرير بلادنا من

الصوص ومن الهوام

بعث الحياة والارتفاع بالأهل.

واحنا هنا فى الشمس

بنفلى الهدوم.. م القمل.

ياما طويلة يا خنقة السنوات

أعظم هامات

أعظم ما جاد العصر من رجالات

ومن الباب

فى الصحرا بتجاور ويتجاور سطور

النمل

أو طيره وحدانية منسية

وراجعة.. بعد غياب.

أدب وفد

(لا خمر للسجناء ولا قمر)

(ولا بانجو للثورى ولا حشيش)

وانتو بتجاورتوا ع البلاط

وخلقتوا متعة من مافيش.

كام كنتوا سادة وانتو ع البطاطين

كام كنتوا أحرار الوطن

يا حضرة المساجين!

على الأقل..

كان فى إيديكم معنى تانى للأمل

وللعمل من أجل تحقيقه.

من أجل تصديقه

ولأجل ما يوسع لنا ضيقه!!

xxxx

دلوقت بعد تواتر الأنظمة

وبعدنا عننا

بعد السما.

نمكن نقول ان الرؤى كان فيها شىء

مش عايز اقول من الضباب

أوم العمى.

الأنظمة الحلوة بتتواتر

وحبها للأرض دى.. فأتير

وبعد ما غصتنا فى وحل الحاضر

نمكن نحس بالألم وبالندم

على مضايقتنا لعبد الناصر

ماكانش ناصر

حاجة واقعة من السما

لا.. كان حقيقة أرض مصرية

نداء الضرورة ولَهْفَةُ العشاق
بالرغم م الألم اللى فى المعاناة
والألف قولة آم.
والانتخابات ال (نَعَمْ)
والمخبرين والشرطة والتضييق
فيما اللى مافهمشى..
مزلق الطريق..
وأما ناصر ده فكان..
نداء الغلبة اللى موطيته
كان التاريخ حيوى
صبح التاريخ ميتت بلا دية
قلنا لهم: «الثورة عمل يدوى»
وإن ناصر غلطة تاريخية
لن يسمحوا ليها تعود تانى..
هاجمونى إخوانى!!

xxxx

ضاقت علينا.. ناس بتتحمل
وناس بتتسحب.. وناس بتتأمل
وناس بتتجنن..
وناس بتنكر أصلها
وناس تعود للأصل
وناس بتندب حظ مصر
وإدى الزمن.. كانه قطر ومَرَّ
وناس بنفس العقل بتكمل
أما انتو فلجأتوا

لبحر.. ماله بر

معزول.. بيسخر من

أدب وفد

حروف الجِرْ
حب الحقيقة.. ملجأ المضطر
لا طلع لكم لغاليد ولا كروش
ولا اتكيتوا على فروش
السوق بيفضى
وانتو.. ما بعتوش ولا اشتريتوش؟
وكانكم.. ماجيتوش
سيتوا الكتب فى البيت
ورقدتوا فى التوابيت
وكانكم م السجن.. ما طلعتوش
الموت..
طلع أصلاً.. ما يعرفكوش!!

xxxx

كان كل مابتهزكم روح القدر
تعلموا العين القديمة
تشوف معاكم من جديد
من بعد ما وهبتوا الحياة..
قلب ونظر..
فما عادش من يومها الشجر
شجر.. ولا عاد الحجر
حجر.. ولا البشر.. ولا الأثر
ولا الأثر
وتشفّ وسط الرْدَعَة
أسرار القدر!!

xxxx

الكلمتين اللّٰى كتبتهما على اتفاق

. أيام ما كان ممكن لناس ..

تبقى رفاق ..

يتصدقوا .. ويصدقوا .

أخدونا للّٰى إحنا فيه دلوقت.

لسته على حَجَر الطريق نقط المطر.

الحبر بيحجف هدومه فى العرا

مايهمهوش الدنيا يابسة .. ممطرة

الحبر يفضل للأزل

إذا صدقه رَسَم الثورة

أو نقش الغزل

إذا صاحبه آمين فى زنازين السنين

أو فى خطر.

xxxx

من قبل ما غادرنا بيوتنا .. للطريق

فى الهوى وضباب لاختيار

فى عزّ ما احتجنا لبلة ريق

علمتوا عزّم الضىّ يفلت روحه

من كفّ النهار!!

xxxx

وهكذا همنا ..

فى الأرض .. واتيتمنا .. وحلمنا

طيرنا أمورنا طير

وكنّا فاكرين الأمور سهلة

وما احتملناش الصعود

أدب ونقد

للغير

وفى الحقيقة ما حبيناش الخير

ولا كنّا طير سابح فى ملك اللاه

ولا الوقود اللّٰى الحياه .. عاوزاه

لاه .. حسدنا بعض

اتعركت طموحاتنا ونفشنا

نقش الديوك .. وكأنها فعلاً طموحاتنا

وماهيش طموحات شعب أو أمة!!

الكلميات ..

فضّلوا ف ضمير الأهل

لا نبتوا نبات ..

ولا كبروا البنات

ولا عرفنا نكون فى يوم اخوات

مع إننا إخوات

حاجة .. تخلّى اللّٰى ما خافش يخاف

إحنا ضللنا السكة للأهداف

ولا حدّ ودّ وقال: يا طير

تعالى فى الحظن ، بات

عجّزنا .. بسّ الجسم غض.

وهكذا همنا ..

فى الأرض واتيتمنا .. وحلمنا

وادی السما فضلت سما

والأرض أرض!!

xxxx

لسته المعافرة والمظاهرة سادة عرض

الشارع

وقايش الضابط



نشيط ونازل.. طالع.

ولسته فى قسم البوليس

الشابة متمزج حوايجها

صارفين لها سبرسجى.. بال.

والشاب بيحبوا يشوفوه قالع..

لكن الهتاف اللى بيعلا.. يظل.

يظل متعلق:

الآه بتفضل آه..

واللأ.. لأ.

ماقدوش أقول انه اتسمع

لكل شعبنا اتسمع

ولا زرع.. ولا قلع

ولا خوف الباغى امتنع

ولا لم ميراث شعبنا الضايح

بكره اللى أبعد م المدى والنفس

لا رد للناس حلمها ولارء

الحلم فى الإيد اللى مابتتمة

اليأس ماعرفش الطريق ليكم

وعرفتوا دايماً نبقى أهاليكم

وصفصفت قد أمكو مازعلتوش

هذا أمل، جيلاتينى، ومخادع

يوم ينتشى

ويوم يتراجع

واحنا على الحلم القديم عايشين

ما بين سعار الدولة وأهل الدين

الكل ماشى يفرق الجنة على المساكين

وعلى سلايم النقابة حاجة بتعلم

اللافتات مرفوعة تتكلم

وما زالت الأصوات

أدب ونقد

بتزحم السلم

بتعلا.. وتدمدم

تعلا فى كل الدنيا ما تضلم

الصوت يوذى يجيب

تهتف لمصر اللى بتشرق لحظتين

وتغيب.

فى كم ذاك الساحر البار

اللى يخلى الحلم يبقى خيال

بالأمر نقلوا الماضى لمضارع

وكنتموا خيرا فى لعبة الأفعال.

لكن قبضنا الهوا

والحلم غاوى هروب

كله بهمومنا ارتوى..

والشمس ماشبعتش موت..

وغروب!!

xxxx

خمس سنين فى السجن

وأى سجن؟ صرة الصحرا

ومملكة الرمال

وفوقها م السجن أبوالكرامات

حبة شهوريا خال

إداكوا فرصة تلاعبوا زهو الخيال.

تطفوا نيران من حن للأهل م

الواحات.

اليوم يلف يعود

بيلف زى السور

وأوله أول.. وأوله آخر

خمس سنين حرموا العقول منك
بيتوبوك عنك.. تتقدموا للفجر
يتأخر

السلسلة تمن بسيط للنور
غلاسة الضباط
وبلاهة العساكر
هدوم بلا خياط
مسرح بلا تذاكر
وان تقضوا حاجة.. طابور
وكلكم.. بالدور

ولا حدم الرفقا سمع لك أن
يا بالك الطويل

وانت على مكن الغسيل

فى وقت أبله من جرانين الصباح
ولا أنين ولا صياح

كتمت معاناتك وصوت أنك
ماحناش جيابرة.. يا خال
لكنك

اخترت واللى اختار بصدق
مشواره بيكون باحتمالات الألم..
مش ارتجال!!

xxxx

بيخبط (العقاد) على بابك
يشتم: صغار السن.
وفى استحالة يفند اسبابك

أدب وفد

يصرخ بكل ما فيه من

عظمة

ومن ضوضاء
(عبدالعظيم والعالم)

أشم فى هدومهم روايح «روس»
يرسم دواير حولكم «حمراء»
طول عمركم أبدا ما نفيتها
ولا حاولتوا القفز
متحملين الاتهام.. والوخز
وكانكو انتو للى اخترعتوها!!

xxxx

يخبط (العقاد) على الأبواب
يلعن أبوخاش (الكتاب)
لكن يعطل مين؟
ويهب (طه حسين)
للشمس يتصدى

قلّتوا: «القديم صدئ»
حرضتمونا نتجه للناس
صوتنا يضل فوق جبين المنهكين
ويلعن الحراس

برقّتوا ورعدتوا وخلقّتوا الزلزلة
ورغم ده

«صدّينا، إحنا»
بس غيرنا اللى أنجلى
فى زمن قانونه (جلا.. جلا)
الحرّة راحت تنحرف
ودكّه.. ماتابت

وانت ف طريقك للختام ثابت

صامت.. ومش ممكن ح تتحول

متشال على كتوف الرفاق

الحزن موعد لاتفاق

والأمن عينه ف موتكم ارتابت

كما شئت إنت

لا كما شئت

م الاعتقال صاحبك من الأول

عمرك ما فكرت كان قصير وكان طول

قبل الزمن ما يميل

ويستغول.

الاعتقال.. كبير معاك فى السن

وعلمك تحول الأحزان إلى أفكار

فلا بتدمع ولا بتئن.

وهم غاويين يشنقوا المشنوق

ويطرقوا المطروق

وهم غاويين بكف السلطة

حجب الضوء.

الاعتقال

ممكن أسمى الاعتقال (دكتور أنيس)

الاعتقال بيت غالى.. خدت عليه

يملاك سواعى بالزُهَق وساعات بشوق

الاعتقال جه معاك من أيام (فاروق).

السجن يكبر بس ما يقلش

وعينيك لمن يقراها ماتدلش

خداعة بنت المعرفة

خداعة تاخدك للطفولة.. حدف.

وانت برضا كامل تروح

للحتف

أدب وفد

جسد.. برىء.

زى اللى حافظين الطريق

قاهر.. خفيف الروح.. نظيف الكف

إسمك مايتهدش

يا عم يا ،عبدالعظيم يا أنيس،

اسمك مايتهدش

عالى صحيح لكن مايتهدش

ويغلفوه ويغمروه بضباب

نقشة قلوبنا اللى ماتتقلدش

واللى عليها صورة الأحباب.

يا طفل من دون كل أطفال الحياة..

طول عمره ما اتخضش.. ولا اتبلدش

يا طفل عاش وعاش

يلاعب الاندهاش

حتى إذا خطفوك من الشارع

أو الجامعة.. عشان يرموك

خلف الحيطان اللى مابتدش

بتندرش..

عمرك ماسابك لاندهاش.

ساهيم كإنك منتظر عصفور ماجاش

صديق ماجاش..

وانت عارف ان اللى جاي

ولا حد.

وانت.. كإنك انت

وانت كإنك لانت

ولا تعرفك حتى.

عينيك حكيمة متبته بتتمد

على العصاية ف قبضة السجان!!

XXXX

ويا عمنا (العالم)..
وانت يا غاوى الدقة والتأصيل
نشرت صدرك النحيل
تستقبل السهم الذى قاصد الحياه
ويا هذا الصدر..
كم احتمل كم السهام الجايه
من كل اتجاه
وانت بتبحث عن أمل
فى زحمة التفاصيل..
إنت اتخذت من الأدب
لثورتك نفس السبيل
لاجل النهار يبنى عشوشه
فوق شواشى الليل..
شجر..

يميل.. على ثمر
مهما تخلف الخطى تترك أثر
فى زمن ضنين
فرجه عسير
بغت القليل بالكثير
الشعر ماهوش دروشه
الشعر مش ترتيل
الشعر يدبل لو يخاوى الصبر
الشعر روح
قبلن يكون أوزان وقافية ونبر
من الحياه التى بتشغى بالحياه
.. للقبّر

انت الى حوت الكلام إلى سلوك
وسابقت يا عبد العظيم
جياذ جميع من جندوك
إنت ما حدش جندك
إنت الى شفت وارتفعت
وارتقيت
همم الى كانوا بيتبعوك
طالع بصدقك الندى من بيت أبوك
ويا له من بيت
يعيتوك.. ويرقدوك
يستقبلوك.. ويشندوك
وتعمل إيه البهدة والرفد م التدريس
مثلاً تغير فيك ملامح الأنيس؟
هل قدروا مثلاً يهزموك؟

XXXX

تغسل دماك يا أيها الرجل الجميل؟
تغسل دماك؟
وهو ده
مش نفس دماك النبيل
اللى هناك واحنا فى أول الرحيل
فسل الغشاوة عننا والارتباك
جيل بعد جيل؟
برضك يا خال، عبد العظيم،
لازمه غسيل؟
طهرك ده يغسل أقله

أدب ونقد

ومن قدر يدفع تمن موتك
ترحل.. تعود..

إيه اللي حيفوتك؟

يا فهد يا برى..

يا عصب وتر مسكون

بحماسك الذرى

وكل م السن يمضى..

يشتل صوتك..

حقك تكل فهل فى يوم كليت؟

ولو يكون للحق سيف تالم

بترفعه فى وجه كل اللي معارضينك

فى البرد تشكى الحر..

يا عمنا، العالم،

حالم لكن صاحى

صاحى.. لكن حالم

والحلم مش ملكك

الحلم عاوز صبر.

حلمك لكل من صبر

حلمك لكل من عبر

من بوابات الحلم.. أمر وجبر.

فازاى يوماتى بتنغرس فى الهم

وتشردمع ودم

وتعود لنا سالم؟

بتبتدى من حيث بدأت

بتحترق فى كل وقت

وكل ما بتحترق نلاقيك تعيش.

مش كل باب بينطرق

مين فينا ماشافكش

وانت بتحترق؟

أدب ونقد

بنفترق.. ونلتقى.. ونفترق

صوتك ملعلع حولنا لدلوقت

يا شعلة الإحساس

يا أشرس الحراس

اتكدر التغيير على التغيير

وانت بتبحث فى التقاسيم

عن نغم ثابت

نغم لكل الناس.

ولا همك إن الزمن

ممكن يكون عادل يكون ظالم

هذا الضجيج الصمت

بيردد الاسم اللي عارفينه

بيردد الاسم اللي مش ح يغيب

(محمود أمين العالم)

xxxx

مهما يتقل بالمسافر نأى

الرؤية توضح فى اتضاح الراى

بلا نعى كان السعى ما ندبتوش

ولا نحتوا ع الأطلال ولا..

سبتوا النضال

ولا قعدتوا تعددوا على الوطن

أو تلعنوا الزمن الضلال.

بالعكس.. كنتوا تملئ مبتسمين

أطفال فى سن التمانين

الصوت جهز مع إنه رقة همس

إيه عدي فى تاريخها ولا عرفتش

مين الرياضة للأدب.. للحبس؟

أغنية دون كيشوت الأخيرة!

أحمد عبد المعطى حجازى

إن الكلمات تملأ على نفسها بدلا من أن أملئها أنا، الكلمات تكشف عن قلبى بدلا من أن يكشف القلب عنها، اللغة حزينة، والقلب حزين، والعقل حزين، لأن محمود أمين العام ترك أحبابه وغادر الدنيا دون أن يحقق ما كان يتمناه لنا، وما كان يستطيع أن يحققه لنفسه.

محمود أمين العالم، هذه الطاقة الجبارة من الحب والموهبة، والصدق، والطفولة، والمودة، والإيثار، والتضحية. هذا الشاعر، الناقد، الكاتب، المناضل، الفيلسوف، المثرد، المفوض من عمله فى الجامعة مع غيره من المدرسين والأساتذة لأنهم وقضوا الى جانب الديمقراطية وطالبوا ضباط الجيش بالعودة الى الثكنات، والمعتقل بعد ذلك خمس سنوات متواصلة، والمنفى بعد ذلك عشر سنوات، ماذا بنفسه صنع؟

والكلمات تأخذنى من محمود أمين العالم وتذهب بى الى جيله كله، هذا الجيل الذهبى الذى فتح عينيه على الحياة فى العشرينيات الأولى من القرن العشرين مع الثورة الوطنية التى طوت بها مصر عمرا وبدأت عمرا جديدا، طوت تاريخا مظلما كانت فيه ولاية منتهكة مستعبدة، وبدأت تاريخا جديدا عادت فيه للحياة فتية حرة مستقلة متفتحة متوهجة عاشقة مفكرة راقصة مغنية.

ما الذى
أستطيع اليوم
أن أقوله عن
محمود أمين
العالم؟ عن
سيرتنا معه،
وسيرته مع
نفسه؟ ماذا
صنعنا به،
وماذا بنفسه
صنع؟

أدب ونقد

إننى أستعيد صورة مصر هذه كما أراها فى كتابات طه حسين، والعقاد وعلى عبدالرازق وهيكلى، وفى أشعار شوقى وحافظ وعلى طه وناجى، وفى ألحان سيد درويش وأغنيات عبدالوهاب وأم كلثوم، وفى مسرحيات يوسف وهبى ونجيب الريحانى... أستعيد صورة مصر هذه المولودة من جديد فى الثورة فيتمثل لى جيل محمود أمين العالم، إحسان عبدالقدوس وعبدالعظيم أنيس وعبدالرحمن الشرقاوى ويوسف إدريس وبدرالديب وكمال عبدالحليم ويوسف الشارونى ومصطفى سويى وحسن فؤاد وأحمد بهاء الدين وكامل زهيرى.

طفولة هؤلاء فى عشرينيات القرن الماضى هى طفولة مصر وصباها وشبابهم فى الثلاثينيات والأربعينيات شبابها وصباها، كتاب وشعراء، وفنانون يعيدون الحياة للأدوات التى فقدت وظيفتها فى عصور الانحطاط وفقدت قيمتها ومعناها، الكلمات، والألوان والإيقاعات هبت من رقدتها الطويلة لتقول وتصور وتعبر وتؤلف وترجم.

هذه الروح الجديدة التى لم تسعها الأشكال الموروثة، ولم تستجب لغامراتها فى الكون وفى العصر وفى الحياة وجدت نفسها فى أشكال حية ورثت بعضها واستعارت بعضها من الثقافات الأخرى وطوعتها لنفسها وحلت فيها.

يوسف إدريس ينقل القصة من عالم الحكاية الى عالم التجربة الحية، ومن رومانتيكية تيمور الى واقعية تشيكوف، والشرقاوى يقدم تجاربه فى تجديد القصيدة العربية شكلا وموضوعا، معجما وموسيقى، وحسن فؤاد يستلهم أعماله من أعمال الواقعيين الفرنسيين، وتذكرنا رسومه المستوحاة من حياة الفلاحين المصريين برسوم الفنان الفرنسى دوميه وصوره عن الأحياء الفقيرة فى المدن الفرنسية وركاب الدرجة الثالثة، ونعمان عاشور ينزل بالمسرح من عالم الأبطال والآلهة الى عالم الناس الذى تحت، وبدرالديب يجرب قصيدة النثر، وجمال عبدالرحيم يؤلف فى سونيقاته ومتتالياته بين الألحان الشرقية والأشكال السيمفونية.

ثم إن هذه الروح الجديدة لم تقتصر على إحياء اللغة واقتباس الأشكال، وإنما كشفت للثقافة عن وظيفتها الحيوية، وحولت المثقف من خادم تابع للسلطة السياسية المستبدة الى ضمير يقظ وسلطة أخلاقية، لأن تجديد الأدوات والأشكال تنقل الثقافة من تقليد الماضى وحفظه وتحنيطه وتقديسه الى مخاطبة الواقع ومساءلته واختبار إنسانيته والعمل على تغييره، هكذا ظهر المثقف المسئول الملتزم، وهكذا

أدب ونقد انحاز محمود أمين العالم ومعظم أبناء جيله لليسان.

محمود أمين العالم بدأ شاعرا. وقصائده القليلة المنشورة فى الأربعينيات لا تدل فقط على موهبة حقيقية، بل تدل أيضا على شخصية قوية كان يتمتع بها محمود أمين العالم فى سن مبكرة، كما نرى فى قصيدته التى سماها أغنية دون كيشوت الأخيرة. ومن المحزن أنه فى هذه القصيدة التى يعلن فيها عن شاعرية حقيقية يعلن فى الوقت نفسه عن القرار الذى اتخذه بالتوقف عن كتابه الشعر.

يحدثنا عن الشعر كيف كان يمثل له فى شبابه، وكيف قرر ان يهجره فيقول مستخدما ضمير الغائب، معبرا بذلك عما كان يتميز به من حياء وتواضع:-
كان يفكر بالشعر، ويحس بالشعر، ويعيش بالشعر، لكنه استيقظ ذات يوم فوجد الشعر يقول له:- كى تكون شاعرا بحق، لا تكن شاعرا، كيف؟ كن انسانا عاديا، سر فى طرقات الناس، عش حياتهم، كل مجاعتهم، واشرب أحزانهم وتنفس أشواقهم.
وياسم الشعر ترك الشعر من أجل الشعر كف عن كتابة الشعر ليحياه ويعيشه، وكان آخر أشعاره أغنية دون كيشوت الأخيرة:-

هل أغنى؟ هل أشرع السيف؟
أم أقبع وحدى هنا وراء ستارة؟
أتلهى بما تلهى به الناس،

سؤال عن صحة، وسجارة
أرشف العمر فى اثناد وحرص
ثم أذرو دخانه فى مهارة

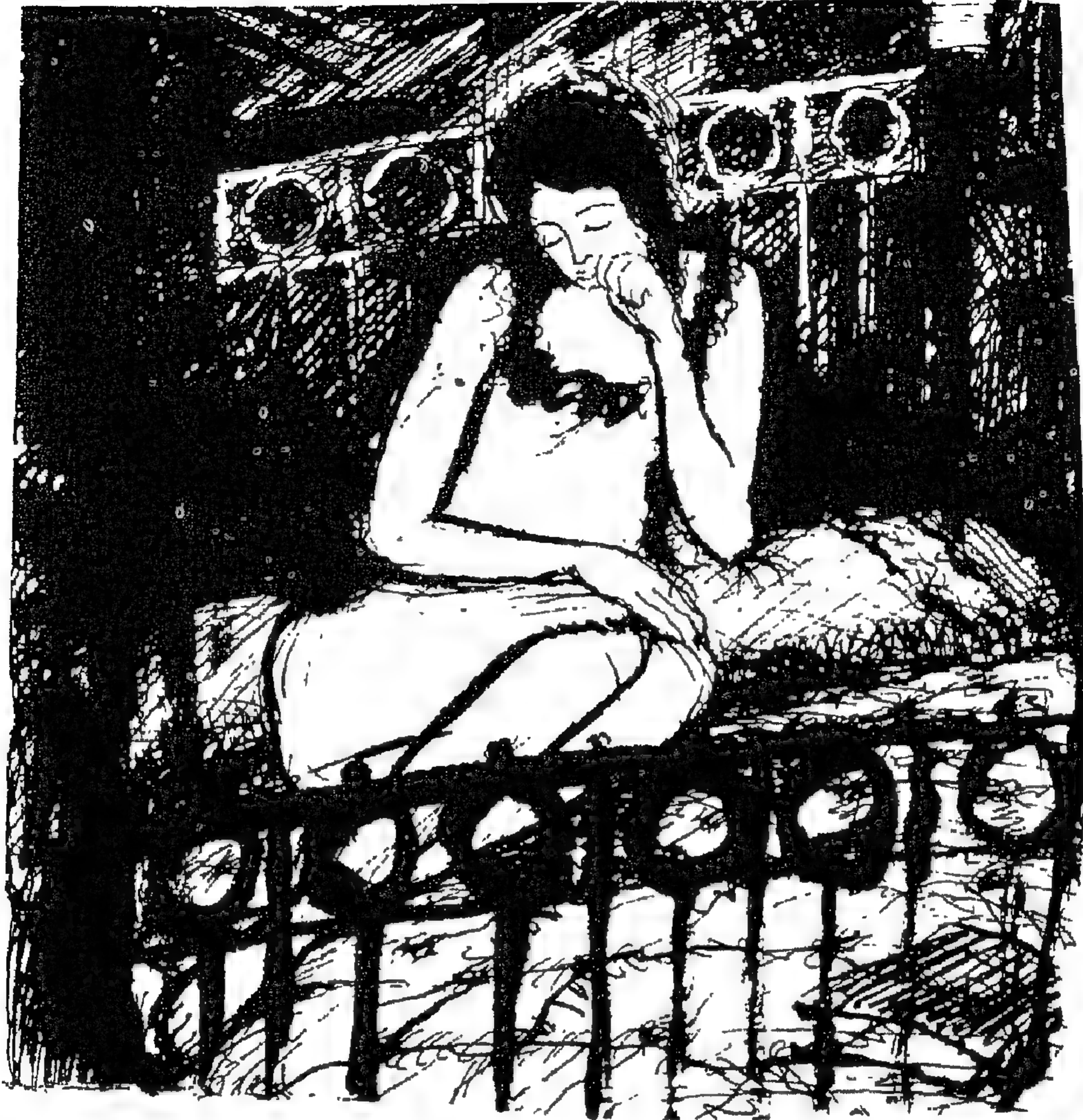
• • •

لن أغنى، لن أشرع السيف،
لن أقبع وحدى هنا وراء ستارة
سوف أمضى كما ولدت، سأمضى

بشرى، أجل، بغير ستارة

فى الطريق الذى يسير عليه الناس

أدب ونقد
أمضى وفى جبينى بشارة



ظهروا الأرض م الحصى والحجارة

ظهروا الأرض م الحصى والحجارة

فماذا فعل محمود أمين العالم حين هجر كتابة الشعر ليعيشه ويناضل في سبيله،
ويحول أحلامه الى واقع سعيد ومدينة فاضلة؟ ماذا صنعنا به؟ وماذا بنفسه صنع؟

فارق أحبابه، فما انتفعوا

بالعيش من بعده، ولا انتفعوا

أدب ونقد



والسؤال ليس عن بطل سرفانتس، ولكنه عن محمود أمين العالم الذى رأيناه فى قصيدته أغنية دون كيشوت الأخيرة يتخلى عن كل ما يمكن ان يميزه عن غيره من أبناء شعبه أو يشغله عنهم، الشعر الذى يكتفى به الشعراء عن الفعل، والعنف الذى يلجأ اليه المغامرون الأفراد ليغيروا النظم الفاسدة بضرية تصيب أوتخيب، بدلا من أن يخوضوا مع الجماهير البسيطة نضالها الصعب الطويل ويصلوا معها لما تتمناه وتصبو اليه فالعدل الحق لا يقف عند حد التسوية بين الناس، وإنما يتجاوز هذا الحد الى ايقاظ ارواحهم، وتفجير طاقاتهم الخلاقة التى تجعلهم مشاركين فاعلين يفكرون لأنفسهم، ويبنون مستقبلهم بأيديهم، وهذا هو الطريق الذى سار فيه محمود أمين العالم.

لم يهجر الشعر كله، ولكنه هجر شعر القول الى شعر الفعل، فأصبح يناضل فى سبيل العدل الذى كان من قبل يحلم به، وفى هذا النضال الذى خاضه بكل ما يملك من طاقات وجد نفسه يتحول من شاعر الى ناقد.

الشعر رؤيا. والنقد تأويل أو تفسير لهذه الرؤيا يساعد على تحقيقها. من هنا يبدأ كل عصر أو كل خلق جديد بالشعر. يبدأ حلما أو خيالا أو نبوءة لا تتحقق إلا بوعى واضح صريح يفسر لنا الرموز والصور، ويكشف عما يصلها بالواقع الحى الذى نعيشه، وإذا كانت الثقافة المصرية فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى تعبيرا عن وثبة جديدة وعن أفكار ورؤى ثورية، فنحن نستطيع ان نعتبر هذه المرحلة مرحلة شعرية بالمعنى الواسع للشعر، أى بما هو أحلام ونبوءات تعبر عن نفسها فى القصيدة أو فى أى نوع أدبى آخر، ونحن نستطيع بالتالى ان نفهم حاجة هذه المرحلة الشعرية الى وعى نقدى يبلور شخصيتها، ويعرف بغاياتها ووسائلها، ويكشف عما يصلها بالمراحل السابقة وما يميزها عنها، وسوى ذلك مما يحتاج لمعرفة الكاتب المنتج

ما الذى صنعه
دون كيشوت
بعد أن أغمد
سيفه، ونزل
عن صهوة
جواده، وكف
عن الغناء؟

أدب - نقد

ليكتب بوعى، والقارئ المتلقى ليقرأ بوعى، لاسيما والكاتب هنا ليس مجرد كاتب، والقارئ ليس مجرد قارئ، وإنما هما مناضلان يسعيان معا لبناء حياة جديدة تحقق للناس ما يطمحون اليه من الحرية والعدل والتقدم والرخاء.

ونحن نعرف أن جيلا جديدا من الشعراء والكتاب المصريين ظهر فى أربعينيات القرن الماضى، وواصل السير فى الطريق الذى بدأه رواد النهضة المصرية، وخطا خطوات أبعد مما وصل اليه هؤلاء.

اللغة التى كانت لاتزال فى أول القرن لغة نقل وتقليد لم تتخلص تماما من تأثير عصور الانحطاط أصبحت أقرب للسليقة، وأكثر تمثيلا لمصر وتعبيرا عن العصر.

والأشكال الأدبية المقتبسة التى كان الرواد يجربونها على استحياء ويشعرون فيها بالاغتراب كالرواية والقصة والمسرحية طوعها الجيل الجديد وأصبح يتصرف فيها تصرف المالك لا المستأجر.

والحوار الذى لم يكن موجودا بين الثقافة العربية والثقافات الاوربية الحديثة أصبح أساسا للتفاهم والانتماء لإنسانية واحدة، واتسع مجال الرؤية والحركة أمام الكتاب والشعراء.

والثقافة التى كانت مجرد حرفة لكسب الرزق أصبحت ضميرا ورسالة، والأدب الذى كان مجرد لعب شكلى واستعراض للمهارة وإعادة صياغة للنصوص القديمة المحفوظة أصبح طريقا لمعرفة الحقيقة واكتشاف الواقع الحى والتغلغل فى أعماقه.

هكذا ازدهرت القصيدة المصرية وتطورت وتعددت أشكالها ولهجاتها ومذاهبها بالتجارب التى قدمها الكلاسيكيون وشعراء الديوان، وشعراء أبوللو، والشعراء الجدد فى الشعر المسرحى، والشعر المرسل، وشعر اللجة الدارجة والشعر المنثور والشعر الحر.

وتمصرت الرواية وخرجت من عالم الماضى والترجمات التجارية الرديئة لتتغلغل فى أحياء القاهرة الشعبية وفى أعماق القرية المصرية، وظهرت فيها أسماء جديدة ومواهب كبيرة، كما ازدهرت فنون المسرح، والسينما، والأغنية والفنون التشكيلية بالجهود الفردية، وجهود الدولة والمؤسسات الاقتصادية الأهلية. وفى تضافر هذه الجهود وتعددتها وتنوعها ظهرت العلاقة الوثيقة بين

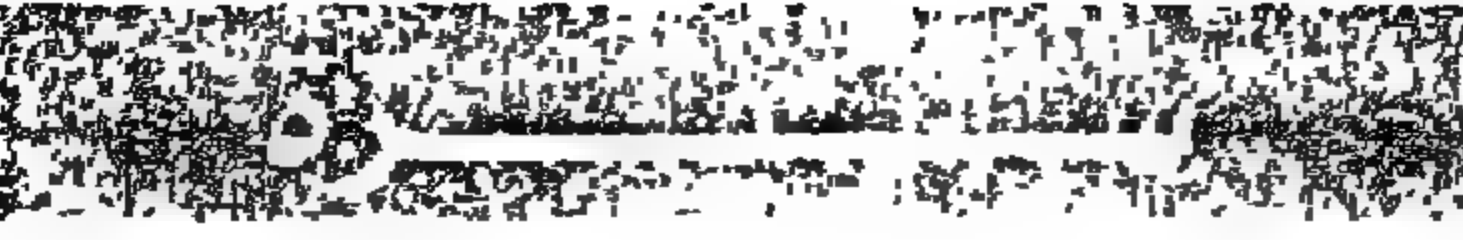
أدب ونقد

الثقافة والواقع الحى الذى كان يشهد هو الاخر تطورات جذرية
لقد اشتدت الحركة الوطنية وازدادت خبرة وتعددت أجنحتها وتنوعت برامجها
وشعاراتها، وأثبتت البرجوازية المصرية وجودها، فهي تقود الراى العام، وتشارك فى
السلطة، وتحل محل المتمصرين المرتبطين بالقصر الملكى، والطبقة العاملة تتسع
وتتبلور ملامحها، والأحزاب والمنظمات السياسية والنقابية تنشط وتتصل بالعالم
الخارجى، وتقتبس من تجارب الشعوب الأخرى ونضالها، وتشيع فى البلاد روحا جديدة
تمثلت قبل كل شىء فى التيارات العقلانية واليسارية التى اجتذبت إليها شباب
الاربعينيات ومثقفوها ووجدت حتى فى الأجيال السابقة من يتعاطف معها ويلون
كتابته ببعض ألوانها.

وفى هذا المناخ الخصب المحتدم الحافل بالأصوات والألوان ظهر محمود أمين العالم
ليواجه الأسئلة التى كان لابد أن يواجهها شباب تلك المرحلة خاصة هؤلاء الذين كانوا
يدرسون الفلسفة: ما هى العلاقة التى تربط الثقافة بالواقع؟ وما الدور الذى تلعبه
الحقائق الموضوعية فى العمل الأدبى؟ وما الدور الذى يلعبه الخيال؟ وهل يكون
الجمال وحده غاية الشاعر أو الفنان، أم ان الجمال الحق حق، والحق دائما جميل؟ وفى
هذا الصراع المحتدم بين المستعمرين وأهل البلاد، وبين الحكام الطفلة والمحكومين
المضطهدين، وبين ملاك الأرض والفلاحين الكادحين أين يقف الكاتب والشاعر
والفنان والفيلسوف؟ ماذا يقول؟ وبأى لغة يقول؟ وهل يكفى القول أم لابد أن يصدقه
العمل؟ ولقد وجد محمود أمين العالم نفسه مطالبا بتقديم الجواب الذى ضحى من
أجله بالشعر فصار ناقدًا، ثم ضحى بكل شىء لأنه أراد أن يفعل ولم
يكتف بأن يقول!

أدب ونقد

فى العدد القادم
ملف خاص عن الأديب الراحل
يوسف أبورية



طفولتي بقلمى

د. عبد العظيم أنيس

ولدت فى شهر يوليو ١٩٢٣ فى حى الأزهر لعائلة لها ثمانية من الأبناء، أربعة ذكور وأربع إناث، وكنت أصغر الذكور وأصغر الإناث باستثناء واحدة، وكان بيتنا يقع على بعد خطوات قليلة من الجامع الأزهر، وكان هذا بيت جدى لأبى فى حقيقة الأمر الذى كان يعمل فى صناعة البناء ويطلق عليه من قبيل التجاوز لقب «مقاول» فقد كان لديه عدد محدود من المساعدين من بينهم أبى وشقيقاه يساعدونه فى بناء بيوت صغيرة أو مساجد متواضعة وقيل إن جدتى لأبى ساعدت جدى فى بناء البيت الذى كنا نساكن فيه بالأزهر. العائلة كانت عائلة أبى جميعا من الحرفيين نزحت أصلا من إحدى قرى الشرقية واستقرت بجوار مسجد ابن بنت رسول الله تلتمس فى جواره البركة، فمنهم من كان صاحب محل جزارة أو كان نجارا أو احترف صناعة البناء كما فعل جدى. ولقد تعلم أبى وشقيقاه خبرة صناعة البناء عن أبيهم ثم انفصل كل واحد منهم عن أبيه بعد الزواج، وارتبطت أعمال أبى بوزارة الأوقاف خصوصا لتركيزه على بناء المساجد فى المراكز والعواصم المختلفة لمحافظة مصر، بينما تخصص أعمامى فى عمليات ترميم المساجد الأثرية وبالتالى تركزت علاقاتهم بمصلحة الآثار. وكانت عائلة أمى ذات صلة أيضا بصناعة البناء، ومن هنا تم زواج أبى بأمى، فقد كان جدى لأمى مقاولا كبيرا نسبيا. بمقاييس عصره وكان بارعا فى صناعته إلى درجة أنه أطلق عليه لقب «المهندس». وهكذا اكتسبت أسرته هذا اللقب من بعده، ولقد كسب

أدب ونقد

جدي لأمي كثيرا وأضاع معظم ما كسبه في أهواء الشرب والنساء. على عكس جدي لأبي الذي كان شديد الحرص على ماله، فضلا عن أنه كان شديد الإسراف في منزله وقد تزوج سيدة تركية الأصل هي جدتي لأمي لا أتذكر شيئا عنها وإن كنت أسمع دائما أنها من فرط سمنتها كانت عاجزة عن المشي في السنوات الأخيرة من حياتها فكان أولادها ينقلونها على صينية، عشاء كبيرة إذا أرادت الانتقال من غرفة إلى أخرى أو الذهاب إلى الحمام، التعليم والأزهر وعلى عكس عائلة أبي لم يمتحن أحد من أخوالي صناعة أبيهم، فقد كان الوضع التقليدي في أسرة أمي هو التوجه نحو التعليم كطريق مضمون للحراك الاجتماعي، وكان التعليم آنذاك في الأسرة يعني الذهاب أولا إلى الأزهر لحفظ القرآن ثم من هناك إلى تجهيزية دار العلوم، ثم إلى دار العلوم للعمل بالتدريس في مدارس الحكومة هكذا فعل خالي زكي المهندس ومن بعده شقيقه كامل، وهكذا فعل من بعدهما شقيقى الأكبر إبراهيم وكان أخوالى من الهمة في التحصيل والتفوق في الدراسة بحيث أرسل خالي زكي إلى بعثة لبريطانيا عام ١٩١٠ حيث قضى بها أربع سنوات وعاد للعمل في تفتيش اللغة العربية كما أرسل شقيقه الأصغر كامل في بعثة إلى بريطانيا ٣ وبقى فيها سبع سنوات وعاد عام ١٩٣٠ حيث عمل رئيسا لقسم الفهارس العربية بدار الكتب المصرية وكان لهما شقيق أكبر من الأم فقط عرف في الأسرة باسم الشيخ على الشهداوى درس أيضا في الأزهر وارتبط بالحزب الوطنى حتى أنه أرسل في بعثة على نفقة الحزب إلى فرنسا لمدة ثلاث سنوات كان فيها معاونا لمصطفى كامل ومن بعده عبدالعزیز جاویش ازدواجية الاسم إنما أشرت إلى هذا الوضع داخل أسرة أمي بشيء من التفصيل لسببين.. أولهما أننى عندما ولدت ٣ أرادت أمي أن تسمينى باسم كامل، تيمنا بأخيها كامل الذى كان على وشك الذهاب إلى بريطانيا عندما ولدت لكن جدتي لأبي وكانت صاحبة شخصية قوية اعترضت حتى لا يظن أحد أننى قبضى فاقترح والدى أن يكون اسمى في شهادة الميلاد، عبدالعظيم، منعا لأى لبس بينما ينادوننى في البيت باسم شقيقها وهكذا نشأت أحمل اسمين: واحدا في شهادة الميلاد ولا يعرفه أحد في العائلة وآخر في المنزل وظل هذا هو الوضع حتى دخلت الجامعة مما أدى إلى مفارقات طريفة كثيرة في حياتى ولم يختلف هذا الازدواج في اسمى في حياتى إلا عندما تخرجت من الجامعة وتزوجت فأصبح لى اسم واحد هو عبدالعظيم. أما السبب الثانى للاستطراد عن أسرة أمي فهو أن جو التعليم الذى اندمجت فيه أسرة أمي أدى بطبيعة الحال إلى انحيازات سياسية مختلفة فقد كان خالى الشيخ على الشهداوى من أنصار الحزب

أدب و نقد

الوطنى بينما كان خالى الأصغر كامل شديد الحماس للوفد ولسعد زغلول. وكثيرا ما تصارع الاثنان حول شئون السياسة. وفى هذا الجو انحاز شقيقى الأكبر إبراهيم إلى جانب الوفد وكان وهو طالب فى دار العلوم كثير التردد على بيت الأمة يلقي القصائد الوطنية أمام سعد زغلول ومن بعده مصطفى النحاس ولهذا كان انحيازنا الأول - أنا وأشقائى - إلى الوفد بطبيعة الحال. ولقد بقيت فى حى الأزهر حتى سن الخامسة وذهبت إلى الكتاب بعض الوقت وأنا فى الرابعة من العمر لكنى لا أتذكر من هذا إلا أن الكتاب كان بجوار منزلنا وكانت هناك حنفية للمياه أمام الكتاب يتزاحم حولها الناس ملء صفائحهم وأوانيهم وكانت جدتى لأبى تأتى لزيارتى فى الفصل وتعطينى نكلة «مليمين» أشتري بها من المدرس بعض الكعك غير أن جدى بنى منزلا فى العباسية الغربية قريبا من شارع الملكة نازلى «شارع رمسيس اليوم» وكان البيت يتكون من دورين وبدروم سكنا نحن فى الدور الثانى وسكن عمى الأكبر فى الدور الأول بينما سكن عمى الأصغر فى البدروم لقد تركنا حى الأزهر وكانت أمى تقول آنذاك إننا «طلعنا» العباسية بعد موت سعد زغلول وكنت أدهش من استخدامها فعل «طلع» فى هذا السياق وأتساءل إن كان هذا بمعنى أن العباسية كانت أعلى فى أرضها من أرض حى الأزهر، أم أن «الطلوع» هنا بمعنى الصعود فى السلم الاجتماعى ولقد تعودت أسر البورجوازية الصغيرة المقيمة فى حى الأزهر على مشروع الانتقال إلى حى العباسية بمجرد أن تسمح الظروف المالية ببناء منزل فى هذا الحى الجديد نسبيا كانت معظم أراضى العباسية صحراوية ولذا كثر البناء فيها فى أوائل القرن وفى العشرينات وإليها انتقلت عشرات الأسر وكانت القاعدة العامة هى أن الأسر الثرية تبنى لها فيلات فى العباسية الشرقية أما أسر البورجوازية الصغيرة فكانت تبنى فى العباسية الغربية أو تستأجر لها مسكنا هناك ويذكرنى هذا التاريخ بما حدث لنجيب محفوظ الذى انتقلت أسرته قبلنا من الأزهر إلى شارع رضوان شكرى بالعباسية الغربية وفى الحقيقة أن شارعنا لا يبعد عن شارع رضوان شكرى كثيرا. ولقد كان انتقالنا إلى المنزل الجديد فى العباسية تحولا كبيرا فى حياتنا فقد وجدنا أنفسنا نمشى ونلعب فى شوارع واسعة ونظيفة وبالقرب من منزلنا كانت هناك حدائق غمرة الجميلة التى كانت تجمع أطفال الحى وتمثل متعة ما بعدها متعة لهم وكانت منطقة شارع أحمد سعيد مليئة بالغيطان المخصصة لزراعة الخضروات وكثيرا ما كانت ترسلنى أمى إلى هناك لشراء السبانخ أو الكرنب كانت هناك أراض فضاء واسعة تلعب فيها الكرة وبعد سنوات صار الاحتفال بالمولد النبوى يجرى فى صحراء العباسية وأصبح

أد-وقف

الموكب المحمل بالكسوة الشريفة ينتهى هناك ومع أن صلتنا لم تنته بحى الأزهر لأن جدتى وجدى لأبى ظلاً هناك، فإن هذه الصلة بدأت تفتت تدريجياً خصوصاً بعدما ماتت جدتى فجأة بالسكتة القلبية عام ١٩٩٠ وانتقل جدى للإقامة معنا فى العباسية بعد ذلك بسنوات قليلة. ألم فراق جدتى وأمى ولقد كان حادث وفاة جدتى صدمة لى وأول مواجهة لمعنى الموت وأنا فى هذه السن الصغيرة، فقد كنا نحبها حباً جماً، وبدأ لى اختفاؤها المفاجئ أمراً شديداً الصعوبة وكنا قد تعودنا أن ننتظرها بالساعات عند موقف ترام غمرة حيث كان الترام رقم ٥ والترام رقم ينتهيان، عندما نعرف أنها ستأتى لزيارتنا، حتى إذا ما نزلت من الترام صحبناها أنا وإخواتى وأولاد عمى فى زفة كبيرة من موقف الترام إلى البيت، ولا عجب فى ذلك فقد كانت تحبنا وتنضحنا بالنقود وأنواع الحلوى المختلفة، وحتى اليوم مازلت أتذكر يوم هذا الحدث الجلل - حدث وفاتها - فقد دق بعض أقاربنا باب منزلنا قبل الفجر بقليل وهرول أبى وأمى بسرعة وهما يهمسان. فلما طلع الصباح أخذنا أخى حسن - نحن الأخوة الثلاثة الصغار - معه وذهبنا مشياً إلى الدراسة عن طريق شارع مصنع الطرابيش وعندما اقتربنا من منزل جدى سمعنا صراخاً وعويلًا وبكى أخى حسن وقال لنا الخبر الحزين ولقد كانت الصدمة الثانية والأكبر فى حياتى إزاء الموت عندما ماتت أمى عام ١٩٤٤٠ نتيجة الإصابة بالحمى، وكنت قد أنهيت امتحان السنة التوجيهية وكان عمى آنذاك سبعة عشر عاماً. وكنت شديد التعلق بأمى وأدت بى هذه الصدمة إلى تحولى إلى إنسان نباتى لا أذوق اللحم لسنوات ولم استطع أن أخرج من إسمار هذه الأزمة إلى قرب تخرجى من الجامعة. عندما انتقلنا إلى حى العباسية كان من الطبيعى أن يدخلنى أهلى مدرسة تناسب سنى، ولقد دخلت مدرسة البرامونى الأولية وقضيت بها عامين قبل التقدم لامتحان القبول بالمدرسة الابتدائية، وكانت هذه المرحلة - مرحلة المدرسة الأولية - تعييناً بالنسبة لى، ولشرح ذلك ينبغى أن أوضح أننى قد تعرضت وأنا فى الثالثة لحادثة - ونحن ما زلنا فى حى الأزهر كادت تودى بحياتى، فقد وقعت من على سلم منزلنا ونزفت من جرح فى الأسنان واللثة، ولا بد أن هذا الجرح قد أهمل أو عولج بالأساليب الشعبية مما أدى إلى حدوث غرغرينة فى اللثة العليا، وذهب بى أهلى إلى المستشفى الإيطالى بالعباسية وأجريت لى جراحة عاجلة أزيل فيها جزء من اللثة وعظمة الأنف وقضيت أياماً بين الحياة والموت فلما عوفيت اتضح لأهلى أنه ترتب على هذه العملية بعض التشويه فى الضم وفى المدرسة الأولية كان الأطفال وبعض المدرسين يعيروننى بهذا التشويه، وكان مدرس اللغة العربية ينادينى للإجابة فيقول، قوم يا

أدب وفد

أشرم، إشارة إلى هذا العيب وأعتقد أن الخجل والانطواء في شخصيتي آنذاك إنما يعود إلى تلك الظروف، ولقد أدى هذا إلى كراهيتي للمدرسة وللذهاب إليها وإلى شدة تعلقي بأمي وكان ذهابي إلى المدرسة كل يوم مشكلة فقد كنت أبكي وأصرخ إلى أن يحملني الخادم على كتفه إلى باب المدرسة وهناك يتلقفني الشيخ ناجي المسئول عن طابور الصباح فيأمر الفراش أن يخلع لي حذائي ثم يقوم هو بضربي على قدمي بضع خيرزانات لأكون عبرة للأطفال الآخرين، وفي بعض الأحيان كنت أهرب من المدرسة في فترة بعد الظهر. معاناة الدراسة الأولى ذكرت هذه الوقائع لأوضح أنني لم أتعلم الكثير من المدرسة الأولية، وعندما تقدمت عام ١٩٣١ لامتحان القبول بمدرسة الظاهر الابتدائية لم أنجح في الامتحان بل رسبت بجدارة، وعندئذ أسرع أخى إبراهيم بتقديم أوراقى إلى مدرسة الحسينية الابتدائية ونجحت بالكاد في امتحان القبول وهناك قضيت مرحلة التعليم الابتدائي في الحسينية الابتدائية، وهى قرية من ميدان الجيش وقد شغلت المبنى بعد الثورة شركة مصر للمستحضرات الطبية، من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٥، كان التعليم الابتدائي بالمصروفات، عشرة جنيهاً تدفع على ثلاثة أقساط، إلا للمتفوقين ومع أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد أصابت أبى بضرر شديد وصل حد الإفلاس إلا أننا لم نكن نرغب أن نتقدم بشهادة فقر ورغم هذه المعاناة فقد دفعوا لى المصروفات فى السنة الأولى وجزء من السنة الثانية، ثم أعفتى بعد ذلك من المصروفات بمناسبة شفاء الملك فؤاد وصدر قرار بإعفاء الخمسة الأوائل من كل سنة من سنوات الدراسة. ومع بدايتى المتواضعة كان اهتمام أشقائى بى فى المذاكرة قد أوصلنى إلى أن أكون من الخمسة الأوائل فى نهاية السنة الثانية وظل هذا حالى فى السنتين الثالثة والرابعة وتميزت بتفوق خاص فى اللغة العربية والحساب وربما يعود تفوقى فى اللغة العربية إلى طبيعة اهتمامات الأسرة التى تخرج العديد من أبنائها من دار العلوم، أما شغفى بالحساب فلا شك أن لمدرسى آنذاك - الأستاذ المصطفى - فضلاً لا ينسى فيه. وبشكل ما استطاعت الأسرة أن تجتاز تلك المرحلة بصعوبة ودون خسائر فادحة ذلك أن أخى إبراهيم قد عين فى مدرسة خاصة بمرتب عشرة جنيهاً ومع أنه كان الثانى فى دفعة دار العلوم عام ١٩٣٠ إلا أنه لم يعين بمدارس الوزارة بسبب قرار صدقى باشا وقف التعيينات، وكانت شقيقتى الكبرى عائشة تعمل مدرسة بالمدارس الابتدائية وساعدنا ذلك على تدبير أقساط المصروفات لى ولثلاثة من الأشقاء، لكننا اجتزنا هذه المرحلة بتضحيات وآلام نفسية غير قليلة. ولعل تلك المرحلة هى التى لفتت نظرى - ولا تزال - لمسألة الفقر فى الأوساط الشعبية والظلم

أدب - وقد

الفادح الواقع على الملايين نتيجة الحرمان من التعليم، والخسارة التي تصيب الأمة كلها نتيجة هذه الأمية.

الابن القدوة

وينبغي أن أذكر هنا أن سلوك الابن الأكبر في العائلة في طريق التعليم يكون له في العادة أثر غير قليل على الابن الأصغر، فهو القدوة والمثل خصوصا إذا كان فارق السن كبيرا وفي حالتنا كان لتفوق شقيقى الأكبر إبراهيم أكبر الأثر عندى طوال مراحل التعليم، فبعد سنوات قليلة من التدريس أرسل في بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٣٤ وطوال المدة التي قضاها بالخارج كان يرسل لى كل فترة خطابات على المدرسة يشجعنى فيها على التفوق الدراسى ويطلب منى أن أبعث له بأخبارى ومشاكلى. أتذكر مثلا أننى عندما كنت فى سنة الشهادة الابتدائية بالمدرسة الحسينية أن دخل ضابط المدرسة يوما إلى فصلى ونادى اسمى، فلما وقفت ناولنى خطابا من انجلترا. وبالطبع كانت ساعدتى وفخرى أمام زملائى فوق الوصف، وقد حدث نفس الشئ لأكثر من مرة عندما دخلت مدرسة فؤاد الأول الثانوية وقضيت بها السنة الأولى والسنة الثانية. فى المرحلة الثانوية، ١٩٣٥ - ١٩٤٠، قضيت بمدرسة فؤاد السنتين الأولى والثانية فلما فتحت مدرسة فاروق الأول أبوابها عام ١٩٣٧ كنت من ضمن المنقولين إليها وفيها قضيت السنوات الثلاث الأخيرة من المرحلة الثانوية ومنها حصلت على الشهادة التوجيهية عام ١٩٤٠، ولكن يحسن أن أشير إلى حدث مهم فى حياتى وقع لى بمدرسة فؤاد الأول فى السنة الأولى من التحاقى بها. ففى العام الدراسى ١٩٣٦٣٥ قامت فى مصر مظاهرات عارمة تهتف بسقوط وزير خارجية بريطانيا، صمويل هورر، بمناسبة تصريح له، ولقد خرجنا من المدرسة فى مظاهرة كبيرة إلى شارع العباسية حيث هاجمنا البوليس وضربنا بقسوة، فعدنا إلى المدرسة وألقينا على قوات البوليس الطوب والأخشاب. وكان شقيقى محمد فى طليعة فرقة قذف الطوب، وكنت أساعده، وفى المساء جاءت قوات من البوليس إلى المنزل وسألت عنى لأنهم وجدوا بعض كتبى على سطح المدرسة، كنت فى الثانية عشرة وأخذت إلى قسم الوايلى حيث قضيت الليل مع ثلاثين آخرين فى زنزانة القسم، وفى الصباح أخذونا إلى مبنى محافظة القاهرة حيث عرضنا على النيابة التي تولت التحقيق معنا، ثم أفرجت عنى لصغر سنى، كان هذا الحادث أول مواجهة لى - وأنا مازلت طفلا - لمسألة السلطة، ولقد بكيت عندما جاءت أمى لزيارتى فى قسم البوليس لكنى عندما عدت إلى المدرسة فى اليوم

أدب - وقد

التالى حاولت أن أظهار بالشجاعة أمام زملائى. وبالطبع ترك هذا الحادث أثرا عميقا فى حياتى بعد ذلك، مازلت أذكره بتفاصيله كما أنى مازلت أذكر جنازة ويصا واصف التى مرت عام ١٩٣١ فى شارع رمسيس أمام منزلنا وهتافات شباب الوفد فى تلك الجنازة المظاهرة كقولهم «إشكى الظلم لسعد يا ويصا».

تكوينى الثقافى

وفى هذه المرحلة - مرحلة المدرسة الثانوية - وازبنت طوال الصيف على الذهاب إلى دار الكتب فى ميدان باب الخلق للقراءة واستعارة الكتب، فقد كانت ظروفنا المالية لا تسمح بشراء كتب للقراءة العامة وإن كنت قد استفدت من مكتبة أخى إبراهيم بالمنزل التى تركها عند ذهابه إلى بريطانيا ومنها قرأت مقامات الحريري وديوان المتنبى وديوان الحماسة لأبى تمام وكتاب قدامة بن جعفر فى نقد النثر وغيرها، ولست أدعى أننى فهمت كل ما قرأت فى مكتبة أخرى، لكن ذلك كان مقدمة لمواظبتى على الذهاب كل يوم خلال الصيف إلى دار الكتب حيث أظل بها من العاشرة صباحا حتى الواحدة ظهرا وساعدنى على هذا أن خالى الأصغر كان آنذاك رئيسا لقسم الفهارس العربية بينما كان الشاعر أحمد رامى رئيسا لقسم الفهارس الأجنبية فى القاعدة المقابلة، وكان موظفو قسم الفهارس العربية يرحبون بى ويساعدوننى، وفى تلك المرحلة قرأت معظم إنتاج طه حسين والعقاد وأحمد أمين والمازنى وتوفيق الحكيم كما قرأت ديوان شوقى ومسرحياته وحافظ إبراهيم والبارودى، وكان العقاد يلفت نظرى ويستحوذ على إعجابى بصفة خاصة خصوصا كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية» ومطالعاته فى الكتب والحياة وتأملاته فى الفلسفة وكتابه عن ابن الرومى، لكن كتب العقاد التى صدرت فى مرحلة متأخرة من حياته لم أجد فيها نفسه العميق القديم. وفى تلك المرحلة أيضا حرصت على قراءة بعض الكتب العربية التى تتناول قضايا الفلسفة بصورة مبسطة وشغلنى على وجه الخصوص سقراط وأفلاطون فى الفلسفة اليونانية وأفكار المعتزلة فى الفلسفة الإسلامية كما عرضها أحمد أمين، وكان لكل هذه القراءات أثرها فى نشاطاتى بمدرسة فاروق الأول الثانوية، فمع مواظبتى على شراء مجلة «الثقافة» كنت مشتركاً فى جمعية التمثيل بالمدرسة وأذكر أنى قمت بدور الكاهن «أنوبيس» فى مسرحية كليوباترا لشوقى عندما قدمناها فى آخر العام، وكنت ضمن هيئة تحرير مجلة المدرسة «الفجر» واشتركت مع آخرين فى تكوين «الجمعية الرياضية» تحت إشراف المدرس الأول للرياضيات بالمدرسة، وقد

أدب ونقد

شجعنى هذا النشاط على مواصلته فى مرحلة الجامعة حيث انتخبت رئيسا للجمعية الطلابية للعلوم الرياضية والطبيعية بكلية العلوم جامعة القاهرة لعام ١٩٤٣. ١٩٤٤. ولقد واجهت مشكلة عسيرة عام ١٩٣٩ إثر حصولى على شهادة الثقافة العامة، إذ كان على أن اختار إحدى الشعب الثلاث للسنة التوجيهية آداب، علوم، رياضيات، فقد كنت محبا للغة العربية والأدب والفلسفة، كما كنت محبا أيضا للرياضيات ومتفوقا فيها، ومع أنه بدا لى أن الجمع بين الرياضيات والفلسفة هو أمر طبيعى، لأن أفلاطون كتب على باب أكاديميته، لا يدخلها إلا المشتغلون بالهندسة، إلا أن نظام التعليم فى جامعاتنا لم يكن يسمح بذلك، فإما أن التحق بكلية الآداب لدراسة الفلسفة أو بكلية العلوم لدراسة الرياضيات، ولقد اكتشفت فيما بعد أن الجمع بين الدراستين يتحقق بسهولة فى الجامعات الأوروبية والأمريكية حيث تقوم الجامعة على الأقسام كالوحدات الأساسية وليس الكليات وحيث جدول الدراسة من المرونة بحيث يسمح بالجمع بين تخصصات تبدو متباعدة تماما فى جامعاتنا، وفى ظنى أن إحدى نقاط الضعف الأساسية فى جامعاتنا هو الوضع الجامد الذى لا يسمح بالجمع بين الفلسفة والرياضيات معا أو بين الرياضيات والاقتصاد، وهكذا. وظللت فى هذه الحيرة طوال صيف ١٩٣٩ ثم تصادف حضور أخى إبراهيم من لندن لزيارتنا فقام بإقناعى بدخول كلية العلوم لدراسة الرياضيات وقال آنذاك إن فى مقدورى دراسة الفلسفة أو الآداب وحدى بالقراءة والمتابعة فى أشهر الصيف بينما أنا أدرس الرياضيات بكلية العلوم، لكن العكس صعب إن لم يكن مستحيلا، وأذكر أنه قال لى كآخر حجة فى جعبته، إن الفلسفة والأدب لا يطعمان أحدا. واقترعت ودخلت شعبة الرياضيات فى السنة التوجيهية، ثم قسم الرياضيات فى كلية العلوم ولم أندم على ذلك أبدا، وفى مرحلة المراهقة والنزعات الأفلاطونية بدت العلوم الرياضية. البحتة لا التطبيقية. ذات جمال خاص، وما كان يذهلنى حقا هو معنى هذه الحقائق الرياضية فى الهندسة والجبر التى بدت وكأنها مستقلة عن أى خبرة، إنه عالم المثل إذن كما كان يقول أفلاطون، واحتضنت بقوة كتاب الرياضى الانجليزى الكبير هاردى، الرياضة البحتة، كما احتضنت أفكاره المثالية كذلك. فى مايو سنة ١٩٤٤ حصلت على الدرجة الخاصة فى الرياضيات بكلية العلوم جامعة الملك فؤاد الأول القاهرة وعينت فى أوائل سبتمبر من نفس العام معيدا بكلية العلوم جامعة الملك فاروق بالإسكندرية ومع أنه كانت هناك فرصة لتعيينى بجامعة القاهرة إذا انتظرت فإننى أثرت عدم الانتظار لأسباب عديدة فى مقدمتها أننى كنت حريصا على أن أعيش حياة

أدب وفن

مستقلة عن الأسرة خصوصا بعد وفاة والدتى وبداية تفكك الأسرة بزواج الكثير من أبنائها. لكنى ذهبت إلى الإسكندرية وأنا أحمل فى داخلى ذكريات علاقات عديدة بالقاهرة لعبت دورا مهما فى تحديد مسار حياتى واهتمامى بالإسكندرية، لقد ساعدت ظروف تربيتى وما صادفته الأسرة من مصاعب بسبب الحرص على التعليم واهتمامى منذ وقت مبكر فى شبابى بالعمل العام وعلى توفير إحساس مبكر بالالتزام قبل الآخرين خصوصا إذا كانوا من الفئات المضطهدة والمظلومة والمطحونة اجتماعيا فمثلا عندما جاءت وزارة الوفد إثر أزمة فبراير سنة ١٩٤٤ بين الملك والانجليز. وسط غارات جوية ألمانية وإيطالية على القاهرة والإسكندرية— وكانت قوات روميل قد وصلت إلى العلمين، تطوعت للالتحاق بمدرسة الوقاية من الغارات الجوية بالزيتون التى كانت قد أنشئت لتدريب المشرفين على أعمال الوقاية من الغارات، وكان سنى آنذاك لا يزيد على ستة عشر عاما، وعندما خصصت الجمعية التعاونية للبترول ٥% من أرباحها السنوية للخدمة الاجتماعية وقامت بإنشاء مبرتين للأطفال الفقراء مبرة الأميرة فادية بالدمرداش ومبرة الأميرة فريال بالقلعة سارعت وأنا طالب بالجامعة بالتطوع للعمل المجانى فى المبرة الأولى التى كانت قريبة من منزلنا، وقضيت فترات الصيف لثلاثة أعوام متتالية أعمل متطوعا بتلك المبرة فى فصول محو الأمية وفى الطواف على منازل الأطفال الفقراء بالمحمدي لبحث الحالة الاجتماعية لأسرة كل طفل واقتراح معونة مالية لها، وكان يشرف على هذا العمل من قبل الجمعية التعاونية للبترول اثنان من كبار الممولين فيها، كامل عبدالرحيم وكيل الخارجية المساعد آنذاك وسفير مصر فى واشنطن بعد ذلك والمستشار عبدالمنعم رياض الذى كان من قضاة محكمة النقض. الشباب والخدمة الاجتماعية ولقد استطعت اقناع بعض زملائى ومنهم د. محمد عجلان. بالاشتراك فى هذا العمل التطوعى الخيرى خلال فترة الصيف، ونجحت فى ذلك مما أسعد المسئولين عن هذه المبرة، خصوصا كامل عبدالرحيم الذى كان يرى فى هذا العمل نقطة تحول فى توجهات الشباب نحو الخدمة الاجتماعية، وساعد على توثق صلتى به أنه قد بدأ يكتشف أن موظفى وزارة الشؤون المنتدبين للعمل بالمبرة كانوا يختلسون بعض الأموال المخصصة للإنفاق عليها، فما كان منه إلا أن كلفنى بمسئولية الإنفاق على المبرة يوميا وتقديم كشف حساب له كل شهر، وعندما تخرجت فى كلية العلوم وعينت معيدا بالإسكندرية أقام كامل عبدالرحيم حفلة شاي بمنزله بمصر الجديدة لتحيتى وتوديعى وأهدانى باسم المبرة أربعة كتب فى الرياضيات قيل لى رنهام سوف تفيدنى فى حياتى العلمية

أدب وفد

الجديدة. كانت تلك إذن صورة سريعة لاهتماماتى بالعمل العام. الخدمة الاجتماعية. عندما ذهبت إلى الإسكندرية ولقد أشرت إلى ذكريات العلاقات الكثيرة مع زملاء لى، والتي حملتها معى عند ذهابى إلى الإسكندرية، وهنا يجب أن أشير إلى علاقتى بالدكتور عبدالمعبود الجبيلى. وزير البحث العلمى فى السبعينات ومدير مؤسسة الطاقة الذرية قبل ذلك. كان عبدالمعبود معيدا بقسم الكيمياء تخرج قبلى بعامين وكان محل انتباه الانظار بالكلية لتفوقه العلمى وذكائه واهتمامه بالشئون العامة ولقد حاولت اجتذابه للعمل معنا فى الخدمة الاجتماعية بمبرة الأميرة فادية فلم أجد منه الحماس الذى توقعته، وأدى بنا هذا إلى حوار طويل حاول فيه اقناعى بأن الخدمة الاجتماعية لن تؤدي إلى تغيير حقيقى فى الأحوال المتردية للمجتمع المصرى وأنها لا تزيد على أن تكون مسكنا من المسكنات مثل الاسبرين، وأن الحل الحقيقى الجذرى هو الثورة على النظام الملكى القائم، وأن مثل هذا العمل فى حاجة إلى إعداد طويل. وشيئا فشيئا بدأت أشك فى أنه مرتبط بشكل ما بتنظيمات ماركسية غير معلنة، ثم تيقنت من صحة هذه الشكوك عندما بدأ يتحدث معى ببعض الصراحة ويعيرنى بعض الكتب الماركسية الانجليزية مثل، ما هى الاشتراكية، لإميل بيرنز وكتاب، الإمبريالية، أعلى مراحل الرأسمالية للينين، وملخص لكتاب، رأس المال، لماركس، وكتب أخرى ترضى اهتماماتى بالفلسفة مثل كتاب، الأيديولوجيا الألمانية، ضد دهرونج، لماركس وكتاب، المادية والنقد التجريبي، للينين ولقد اتهمت كل هذه الكتب وتصورت أننى فهمت وإن كنت قد أدركت فى فترات لاحقة أن الفهم الحقيقى لا يتحقق إلا بمعرفة السياقين الاجتماعى والثقافى اللذين ألفت فيهما هذه الكتب، غير أن أهم كتاب أثار اهتمامى آنذاك هو فى الحقيقية كتاب إنجلز، جدل الطبيعة، وهو محاولة من المؤلف. على ضوء اكتشافات العلوم الطبيعية فى القرن التاسع عشر. لاستخلاص قوانين الجدل من تلك الاكتشافات، وهذا الكتاب بالذات كان محل انبهارى الشديد فى تلك الفترة من شبابى لأنه بدا لى أنه يقدم تعميما مثيرا لبعض النتائج العلمية. فى الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا. لم أسمع به من قبل، ولقد لفت نظرى على وجه الخصوص كيف أن رجلا مثل إنجلز يكون على هذا المستوى من المعرفة مع أنه غير متخصص فى العلوم. وبالطبع فعندما أنظر الآن إلى هذا الكتاب أشعر أن هذا الإعجاب المبكر كان مصدر جهلى بأشياء كثيرة عن العلم، وقد يكون كتابا جيدا بمعنى تاريخى، لكن التطورات العلمية للقرن العشرين قد تجاوزت نتائجه دون شك، وبعض نتائجه فيما يتعلق بالرياضيات التى تبدو لى اليوم ساذجة كان مصدرها

أدب ونقد



معرفة إنجلز السطحية بهذا العلم، الثورة هي الحل تلك كانت البداية إذن.. مناقشات مستمرة مع عبدالمعبود الجبيلي وغيره من الأصدقاء وقراءة متصلة في كتب ماركسية كان يعيرني إياها، وكل هذا انتهى بي إلى الاقتناع بوجهة نظره بأنه لا يوجد حل لمشاكل مصر الاجتماعية غير الثورة، وأن خير ما يفعله شاب مثلي هو المشاركة في الإعداد لها. وهكذا ارتبطت بمنظمة «اسكراء» التي كان الجبيلي أحد قادتها وعندما تمت الوحدة بين «اسكراء» وبين «الحركة المصرية للتحرير الوطني» عام ١٩٤٤٧ وتكونت منظمة الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني

أدب ونقد

العالم: القيمة والرمز

د. جابر عصفور

وودعنا جسده الذي ودعنا بوداعه رمزا من أكثر رموزنا الفكرية، في ثقافتنا، أصالة وعطاء وأداء لما يزيد على نصف قرن من الزمان، قلت لنفسى إذا كنا ودعنا الجسد، فالجسد فان في النهاية، لكن المؤكد أن إنجاز العالم الفكرى والإبداعى سوف يجعله باقيا في حياتنا الثقافية، لن يطويه النسيان رغم أن آفة حارتنا النسيان كما يكرر نجيب محفوظ في أولاد حارتنا وكما أن إبداع نجيب محفوظ لا يزال باقيا بيننا، وسيبقى إلى ما شاء الله لنا أن نبقى، فإن إنجاز العالم سوف يظل باقيا بالقدر نفسه، فهو رمز وقيمة لا يمكن أن تبهر شعلتهما في حنايا الذاكرة الثقافية.

وأعتقد أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب أولها الثبات على المبدأ وعدم التنازل أو التخلي عنه لقد بدأ العالم حياته الفكرية الحقيقية بالانتماء إلى الفلسفة الماركسية التى أعانته على تكوين رؤية ثورية لواقعه الوطنى بخاصة وللعالم بعامة وقد عمل على تحقيق رؤيته على أرض الوطن الذى انتمى إليه، وحلم بمستقبل أفضل له، يضمن تحقيق العدل للمعذبين فى الأرض، والحرية للحالمين بها، والتقدم للعاملين من أجله وكان السجن لمرات عديدة الثمن الذى كان عليه أن

صندما عدت
من المقبرة
التي تركنا
فيها جسد
محمود أمين
العالم الذى
حملنا معنى
حضوره
الساطع فى
جوانحنا

أدب وفد

يدفعه ورفاقه الشرفاء لأكثر من مرة ثمنا لذلك، وكانت أطول فترات الاعتقال في الفترة الناصرية من سنة 1959 إلى سنة 1964 التي كانت بداية ما أسماه العهد الناصري التحول إلى الاشتراكية والمصالحة مع اليسار المصري، فخرج العالم من السجن ليعمل بالحياة الثقافية،

وما أسرع ما شغل مناصب قيادية متعددة رئاسة مؤسسة الأخبار، ومؤسسة المسرح، وهيئة الكتاب إلخ وانتهى العهد الناصري بكارثة العام السابع والستين التي أودت بحياة عبد الناصر في سبتمبر 1970 وجاء العهد الساداتي ليتحول عن التحول الاشتراكي، ويستبدل النظام الرأسمالي المفتوح بالنظام الاشتراكي الذي ظل أقرب إلى الشعارات منه إلى الواقع الفعلي ودخل العالم السجن مع من أسماهم نظام السادات بمراكز القوة، وخرج من السجن بعد أشهر ليجد نفسه بلا عمل، فترك بلده، مؤثرا المنفى الاختياري على احتمالات تكرار الاعتقال، مع عشرات غيره من المثقفين المصريين الذين دفعهم النظام الساداتي إلى المنفى الاختياري الذي كان أهون من السجن وطالت سنوات المنفى على محمود العالم،

لكنها كان لابد أن تنتهي كما انتهت سنوات السجن، ويعود العالم إلى مصر، ممتلئا بالحماسة نفسها للعمل من أجل تحقيق رؤيته عن المستقبل، غير متخل عنها أو هجرها إلى غيرها، كما فعل كثيرون غيره، إيثارا للسلامة أو طلبا للمنفعة وظل العالم على مبدئه، نموذجا نادرا للإخلاص لما آمن به، وظل على نشاطه الفكري المتوقد إلى اللحظة الأخيرة من حياته، يحيا حياة الزهاد، لا يعبأ إلا بالفكر والكتابة.

ولم يكن العالم يتميز بالثبات على المبدأ فحسب، وإنما كان يحترم كل صاحب مبدأ، مهما كان مختلفا عنه أو مغايرا له وذلك هو السبب الثاني الذي تتجسد به قيمته، لقد بدأ في النقد الأدبي داعية متحمسا إلى الواقعية التي كان يراها السبيل السليم لتطور الإبداع العربي، وبالطبع كانت الواقعية التي انحاز لها أقرب إلى الواقعية الاشتراكية منها إلى الواقعية النقدية، لكن إيمانه بهذه الواقعية الأخيرة لم يقلل من احترامه للرواد الذين تعلم على أيديهم، وعلى رأسهم طه حسين الذي كان يحمل لتلميذه الخارج عليه، فكريا، المودة والتقدير،

أدب ونقد

رغم أنه كان يعنف بالعالم وصحبه، أحيانا، في النقاش والخلاف

ويبدو أن محمود العالم ورث تقبل المختلف واحترام الاختلاف عن التقاليد الليبرالية التي نشأ في ظلها ومن يقرأ كتابه وعبد العظيم أنيس في الثقافة المصرية من منظور جديد، يجد أن عنف الخلاف فيه لم يصل إلى الدرجة الجذائفة الخطرة التي كانت لا تتردد في استئصال المختلف معنويا وحافظ العالم على هذه السمة فيه، فجعلني، شخصيا، أقرب منه وأزداد احتراما له مع الأيام، لأنني كنت أعلم علم اليقين احترامه لتفكيرى المخالف ونقدي لعدد من مواقفه النقدية، ومنها نقدي الحاد لكتابه في الثقافة المصرية.

ولذلك كانت السمة الثالثة لفكر العالم ونقده الأدبي هي عدم الجمود والتجدد والانفتاح على كل جديد ومن يقارن بين ما كتبه عبد العظيم أنيس، في كتابهما المشترك، عن نجيب محفوظ سنة 1955_ وما كتبه العالم نفسه في كتابه تأملات في عالم نجيب محفوظ سنة 1970_ يجد الفارق كبيرا بين المنظور الواقعي الذي تقوقع في المدار المخلق للواقعية الاشتراكية والمنظور الرحب الذي أخذ يفهم الواقعية بوصفها واقعية بلا ضفاف.

ولم يتوقف أمر التجدد على النقد الأدبي وإنما جاوزه إلى نقض التيارات الحداثية من منظور يساري مرن، ودليل ذلك كتابه عن هريبرت ماركيز أو فلسفة الطريق المسدود الذي صدر عن دار الآداب في بيروت سنة 1972_ وهو كتاب يؤكد ضرورة مساءلة النظريات الجديدة ومساءلة الذات أثناء فعل المساءلة نفسه وأضيف إلى هذه السمة ما يلزم عنها، وهي تشجيع كل جديد يؤمن العالم بأصالته ولذلك وقف في صف الشعر الحر منذ الخمسينيات، ضد العقاد الذي كان يحيل قصائد صلاح عبد الصبور وحجازي والعنتيل إلى لجنة النشر للاختصاص وقد كتب مقالا لا أنساه في تحية ديوان صلاح عبد الصبور الناس في بلادى الذى كان حدثا استثنائيا في تاريخ الشعر المصرى الحديث ولم يتردد في خوض معارك من أجل الدفاع عن هذا الشعر ضد الذين هاجموه واتهموه بالكفر والعمالة للغرب، وأطلق بعضهم مثل صالح جودت اسم القرامزة على شعراء الشعر الحر، سخرية واستهزاء واتهاما على السواء فالقرمزية قريبة في لونها من اللون الأحمر الذى هو لون أعلام الدول الشيوعية،

أدب ونقد والقرامزة قريبة في بنيتها الصوتية الصرفية من القرامطة وهي



الفئة التي ظل أهل السلف يتهمونها بالكفر والإلحاد والثورة الدموية، إلى أن أنصفها طه حسين في مقاله العلامة الذي يقارن فيه بين ثورة القرامطة وثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس في روما. ويصعب أن أغفل، في هذا السياق، أن محمود العالم كان أول من قدم البنيوية إلى القراء العرب، وذلك في ذروة اشتعال المعركة بين البنيوية وأعدائها في الحياة الفرنسية، وكان ذلك في المقالات التي واصل نشرها في مجلة المصور في الستينيات، وقد تعلمت منها معارفى الأولى عن أسماء رولان بارت ولوسيان جولدمان وغيرهما، وظللت أحتفظ بهذه المقالات التي قرأتها، في مرحلتى الجامعية الأولى، إلى أن رأيتها منشورة بعد ذلك بسنوات عديدة في كتابه البحث عن أوروبا الذي صدر عن المؤسسة العربية للدراسات، في بيروت سنة 1975. ولم أكن وحدي الذي تعلمت من العالم معانى الثبات على المبدأ واحترام الاختلاف وتقبل الجديد، بل كنت واحدا من أبناء جيل كامل تعلموا منه،

وأفادوا من كتاباته على امتداد الوطن العربى الذى خسر بوفاته رمزا وقيمة وحضورا
خلقاء يتكامل فيه الإنسان موقفا وسلوكا، فكرا وممارسة على كل

أدب ونقد المستويات ■

لا أزال أذكر المرة الأولى التي رأيت فيها الأستاذ محمود العالم كما كنا نسميه، وكانت الأستاذية تعنى لدينا معنى أقرب إلى معناها الأكاديمي الذي يشير إلى الوصول إلى آخر درجة في السلم الأكاديمي، والوصول إلى المرحلة العلمية التي تجعل من صاحبها أستاذا لأجيال متعاقبة من الباحثين وقد كان العالم أستاذا حقيقيا بهذا المعنى، رغم أنه لم يحصل على درجة الدكتوراه التي كان على أهبة التسجيل لها، ولكن أدركته أزمة مارس 1954 التي كانت أزمة الديمقراطية في مصر ومحنة الحياة الجامعية الأولى على السواء، فقد أطاح مجلس قيادة الثورة بنحو خمسين أستاذا طردوا بقرار سيظل نقطة سوداء في تاريخ الثورة المصرية وكان محمود أمين العالم قد فرغ من أطروحة الماجستير في الفلسفة في موضوع فلسفة المصادفة الذي نشره كتابا سنة 1971 عن دار المعارف المصرية ولم أكن أعرف محمود أمين العالم شخصا عندما دخلت الجامعة، إنما عرفت اسمه ومكانته من زملائي الطلبة الذين كانوا منتمين إلى فصائل اليسار المختلفة خلال النصف الأول من الستينيات.

وقد استعرت من أحدهم كتابه وعبدالعظيم أنيس في الثقافة المصرية واكتسبت منه محبة الواقعية دون التورط في ضيق أفق الواقعية الاشتراكية التي لم أستطع تقبلها، ربما بسبب موقف عبدالعظيم أنيس، رحمه الله، من كتابات نجيب محفوظ الذي أصبح كاتبنا الأول والأثير وكنت قد قرأت في سنة 1965 حوارات العالم ومدخلاته في ندوات المسرح المنشورة بمجلة المسرح التي كان يرأس تحريرها رشاد رشدي، رحمه الله، النقيض الفكري للعالم الذي جذبتني إليه استقامة منطقه في الحاجة وظللت أتابع كتاباته بعد ذلك دون أن أراه أو أعرفه، إلى أن كان مسرح الجيب يعرض مسرحية أنجولا لبيتر فايس التي أخرجها إخراجا مبهرًا أحمد زكي، وكان النص العربي من ترجمة يسري خميس، وكنا في ذلك الوقت متوهجين بحماسة مقاومة الاستعمار الذي أخذ يحمل عصاه ويرحل، متلكنًا في بعض الدول، ومنها أنجولا الإفريقية التي كتب عنها فايس مسرحية تسجيلية، أخرجها أحمد زكي على نحو جديد، مستخدما حركة المجموعات والألحان والأشعار التي تؤديها، إنشادا.

المجموعات التي خلبت لبنا في ذلك الوقت وكنت جالسا في الصف الثاني مع زوجتي

التي كنت قد تزوجتها منذ أشهر وكان الأستاذ العالم يجلس في

الصف الأول، فقد كان يترأس هيئة المسرح في ذلك الوقت وظللنا نحن

أدب وفد

المتفرجين مشدودين إلى العرض الذى وصل إلى ذروته فى الخاتمة مع أغنية جماعية تؤديها مجموعة العرض وقد ألهمت أغنية الختام حماسنا، فأخذنا ننتد مع المؤدين، كأننا فى مظاهرة، ولفت انتباهى الأستاذ العالم الذى كانت حماسته بالغة، ربما أكثر منا نحن الشباب وكان مندمجا بكليته فى التصفيق بيديه على إيقاع اللحن، وجسده كله يهتز مع اللحن على نحو لفت انتباهى إلى حماسه البالغ، وصدقته الرائع فى الانفعال بما يثير إعجابه الطريف أن هذا المشهد الحماسى ظل يتكرر عبر السنوات، وخلال المواقف التى كانت تدفع العالم إلى الحماسة، سواء فى الاستماع إلى فكرة أو محاضرة، أو مشاهدة عمل فنى، فإذا به يندفع بكل متاعره فى التعبير عن إعجابه الحماسى بما يسمعه أو يراه وكان هذا المشهد الأول هو بداية إعجابى بمحمود العالم، وحرصى على متابعة كتاباته، رغم ابتعاده عن مصر لسنوات طويلة، فى المنفى الاختيارى الذى بدأ بإنجلترا وانتهى بفرنسا التى ظل فيه لسنوات طويلة أستاذا للآداب العربية، بناء على تدخل المستشرق الشهير جاك بيرك الذى كان صديقا للعرب، عارفا قدر أمثال محمود أمين العالم ولم يكن العالم يتوقف عن الكتابة فى منفاه، وقد قرأت له بحثا، يشيد بمجلة فصول التى كنت نائبا لرئيس تحريرها الدكتور عز

الدين إسماعيل، وتكرم بوضع اسمى ضمن التيار الشاب الذى يمثل الحداثة النقدية، فكتبت إليه شاكرا، وداعيا بأياه إلى الكتابة فى فصول التى كنت أومن أنها فى حاجة إلى كتابة أمثاله من أبناء الجيل الذى أسهم فى تأصيل معنى الواقعية فى النقد العربى المعاصر، ومن عباءته خرجت أجيال مضت على دربه الواقعى، ولكنه أجاب شاكرا ولعله أثر أن يجنبنى حرج الكتابة فى عصر كان رافضا لسياساته رافضا كاملا.

ومضت الأيام وتوفى السادات بأيدى من أراد أن يكونوا حلفاءه فى ضرب قوى اليسار المصرى والناصريين والقوميين بوجه عام وعاد العالم إلى مصر، وأخذ يمارس نشاطه، ويشعر قلمه فى مواجهة ما يستحق أن يواجهه، ولدعم كل ما يستحق أن يدعمه، واضعا فى اعتباره حق القارئ العربى فى أن يعرف، مؤمنا بما كان يردده الفلاسفة الذين يعرفهم من أن المعرفة قوة، وإن تنوير الشعب هو السبيل الوحيد لتحريره، شريطة أن يكون فعل التنوير من القاعدة إلى القمة، وليس هابطا من الأعلى، دون أن يتسلل إلى وجدان الجماهير وعقولهم منذ اللحظة الأولى لتنشئتهم الاجتماعية وكان من الطبيعى أن التقى به فى الندوات، خصوصا تلك التى كان يشرف عليها فى دار الثقافة الجديدة التى كانت تصدر من إحدى غرف الشقة

أدب ونقد



التي تقع فيها مجلة قضايا فكرية التي كانت بحق أهم مجلة فكرية شهدت الثقافة العربية في وقتها، وذلك بالملفات التي خصصتها لأهم قضايا الفكر المعاصر التي اقتحمتها مقالات المجلة وأبحاثها بجرأة بالغة ولم تكمل المجلة مسيرتها المنتظرة، وذلك لأسباب عديدة، أهمها عدم توفير التمويل الكافي.

ـ فظل العالم ينتظر إلى أن أصبح مقرر لجنة الفلسفة في المجلس الأعلى للثقافة، بعد مرض الدكتور فؤاد زكريا، متعه الله بالصحة وطول العمر، فكان دينامو اللجنة الذي استطاع تحويلها إلى ساحة رأي مفتوحة لكل الآراء، وذلك في الندوات التي كان يشرف عليها، فضلا عن مجلة الفلسفة والعصر التي لا تزال أهم دورية أصدرها المجلس الأعلى للثقافة، وأشرف أنني يسرت كل السبل لإصدارها، حين كنت أمينا للمجلس الأعلى للثقافة، أفيد من خبرات العالم وأبناء جيله الذين صعدوا بالمجلس الأعلى إلى ذروة غير مسبوقة من العمل والفاعلية أما الذكريات الشخصية التي لا تخلو فيها علاقتي بالعالم من حنو الأب وحضور الأستاذ وتسامح المختلف، فما

أدب ونقد أكثرها وأقربها إلى القلب ■

وفاء للأمل الاشتراكي

فريدة النقاش

يرحل محمود أمين العالم وهو واحد من أكبر مفكرى العرب الماركسيين فى العالم الثالث فى الوقت الذى تستعيد النظرية والفلسفة الماركسية تألقها وجاذبيتها فى كل أنحاء العالم وتصل أحزاب اشتراكية تباعا إلى السلطة فى بعض البلدان بعد أن كانت قد تعرضت لهجوم ضار عبر عقدين إثر سقوط المنظومة الاشتراكية ثم دخول كل البلدان التى كانت قد دخلت ضمن هذه المنظومة إلى الرأسمالية مرة أخرى.

ويبدأ الكادحون والطبقة العاملة فى هذه البلدان أشواطا جديدة من النضال من أجل الاشتراكية وتحت رايتها معتمدين على هذا التراث المجيد الذى راكمته الإنسانية كلها عبر مئات السنين فى الكفاح الفكرى والعمل من أجل عالم جديد ترفرف عليه رايات المساواة والعدالة والكرامة الإنسانية، ويبدأ التاريخ الحقيقى للبشرية ولو بعد حين خروجاً من الهمجية والاستغلال والدناءة.. لكى يصبح العالم جديراً بإنسانية الإنسان الذى جاهد وعمل بدأب عبر آلاف السنين ليخرج من أعطاف الوحش ويشكل وعيه بذاته ككائن مفارق للحيوانات يعلو عليها بالعقل والأحاسيس والإدراك.

لن نغيب أبداً
عن ساحة
شعبنا وبلادنا،
ساحة مصر
كلها، ساحة
النضال
الشعبى،
سنواصل
الرسالة التى
نؤمن بها
محمود العالم

أدب وفاء

وقد عاش الإنسان فى بداية نشأته على الأرض فى وفاق بسيط مع ذاته ومع الطبيعة والعالم من حوله إلى أن بدأت مجموعات من البشر تتطلع إلى التسلط والهيمنة عبر ملكية وسائل الإنتاج من أرض وحيوانات.. وبدأ الإنسان يتفلسف وينتج الأفكار والنظريات وهو يصارع من أجل تحقيق المثل العليا على الأرض التى مهدها بكده وعرقه، وفى سياق هذا الصراع بين الذين نجحوا بأساليب شتى فى الهيمنة على الثروات وبين الكادحين الذين لا يملكون، وفى ظل مستوى من التطور العالى للإمكانات البشرية ونمو الصناعة ولدت الفلسفة الماركسية مع بروز الملامح المميزة للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية المتطورة فى منتصف القرن التاسع عشر، وعلى العكس من توقعات كارل ماركس، وفريدريك انجلز، اندلعت الثورة الاشتراكية الكبرى والأولى عام ١٩١٧ فى بلد متخلف صناعيا يغلب عليه الطابع الزراعى هو روسيا.

واتخذت هذه الثورة طابعا عالميا وبقي الاتحاد السوفيتى سندا مبدئيا لكل حركات التحرر فى العالم إلى أن تفكك فى نهاية المطاف حين أخفق فى السباق الوحشى الذى جرت به إليه الرأسمالية.. مستنزفة قواه إضافة لعوامل قوية أخرى فى العلاقات الاجتماعية والممارسات البيروقراطية للحزب الشيوعى السوفيتى.

من بين آلاف الماركسيين فى العالم العربى الذين اهتزت ثقة بعضهم فى صوابية الأفكار وجدوى المسعى رغم آلام الطريق وقف محمود أمين العالم، فى قلب الذين واصلوا الدفاع عن الفلسفة والنظرية مقدما إضافاته الخلاقة وقادرا على إلهام المثات من التلاميذ والمناضلين مستخدما عقله النقدي الثاقب، مبسطا رؤيته الكونية الشاملة للصراع العالمى، وملتقطا بعض أهم المفاصل والقضايا التى أدت إلى إخفاق التجربة الاشتراكية الأولى فى السباق، وهى التطور العلمى والتكنولوجى، وكعاداته كمفكر قلق يطرح أسئلة أكثر من طرح الأجوبة، وهو يتشوق للمزيد من المعرفة فى كل لحظة قدم مساهمة نظرية مهمة فى هذا السياق حين أدرك أنه يستحيل الفوز الاشتراكى فى المباراة الاقتصادية مع الرأسمالية إلا فى ظل الاستيعاب السريع والعميق والكامل لمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية التى تتوقف عليها بصورة جوهرية فعالية الإنتاج الاجتماعى والقدرة على توزيع ثماره بشكل عادل يقربنا من الأهداف الاشتراكية، وقال إن أخطر ما يمكن أن تفعله الدول النامية فى هذه القضية هو استيراد التكنولوجيا الجاهزة دون معرفة وهو الطريق الذى سلكته الصين فيما بعد حين وطنت التكنولوجيا وطورت العلم.

تماما كما سبق أن قدم مساهماته الفكرية فى ميدان النقد الأدبى

أدب وفن



وعلم الجمال حين رأى الجمال كهدف، وأضاء النقد الأدبي كعلم أصيل من علوم المجتمع هو نفسه أيديولوجيا كاشفة للأيديولوجيا الكامنة وغير المرئية في النص الأدبي باعتباره إضاءة جمالية لواقع العلاقات الاجتماعية في خاتمة المطاف محرضاً على الأجل والأرقى.

كذلك قدم العالم أفكاراً مهمة في بناء الحزب والجهبة الوطنية دون أن يعتبر مقولات المفكرين والفلاسفة الكبار تماًم أو أيقونات نقدها بشجاعة رغم الأخطاء العملية التي وقع فيها في ظل تعاونه مع الناصرية حين يراهن على فعالية الشيوعيين كأفراد داخل منظماتها التي سرعان ما استولت عليها الطبقة الجديدة كما وصفها جمال عبدالناصر بمرارة وهو يقرر أن ينشئ منظمة سرية طليعية داخل الاتحاد الاشتراكي إلى أن انهار البناء كله ومن كل الحالات لم يفقد محمود العالم، ثقته أبداً في أن الاشتراكية هي مستقبل الإنسانية وظل وفيها طيلة عمره لهذا الأمل الذي تعلقت به أفئدة وعقول ملايين البشر على امتداد المعمورة كعبة للرجاء.

وسوف تظل إنجازات العالم الفكرية منهلاً عذباً لكل القوى الاشتراكية والديمقراطية وهي تكافح من أجل عالم جديد ترفرف عليه رايات الاشتراكية وسيطرف فيه البشر على مصائرهم بحرية وأمان.. ولذا فإن مثله لن

أدب ونقد

يموت ■

أنيس: عالم فن وناقد أديب

د. جلال أمين

ذلك أنه يجتمع فيه عدد من الخصال التي قد تبدو لأول وهلة متضادة، ومن النادر أن تجتمع في شخص واحد. إنه عالم فن في الرياضيات ولكنه يهوى الأدب ويكتب في النقد ويقيم الأعمال الأدبية تقييماً يبعث الثقة في سلامة حسه الأدبي والجمالي، فإذا كتب ذكرياته عن شخصية مهمة أو حتى عن أحداث شخصية بحثة توفرت لمقالاته درجة عالية من التشويق للقارئ وكأنه يقرأ قصة، ووجد القارئ حتى فيما يرويهِ من أحداث شخصية، مغزى عاماً جديراً بالتأمل، وهو يكتب في قضايا معقدة في السياسة أو الثقافة أو الفلسفة فيحولها إلى قضايا بالغة الوضوح والسلاسة، فيرد القضية المعقدة إلى عناصرها وكأنه يحل بعض المعادلات الرياضية.

وهو رجل حاد وصارم في أحكامه الأخلاقية، ينفر من أنصاف الحلول، ولا يغض البصر عن الخطأ لمجرد اقترانه ببعض الصواب، ومع ذلك فهو دائماً يكتب بأدب وبلا أنفعال وبأسلوب لا ي عرف الخطابة أو المبالغات، وإنما يأتي كتاباته لا من نبرتها العالية بل من عمق التحليل وشموله وسلاسة أسلوبه.

لا يمنعه إجماع الناس على التهليل لشخص أو موقف من التمييز

١- يتمتع
الدكتور عبد
العظيم أنيس
بدرجة من
التقدير
والحبة من
الثقافين
المصريين يندر
أن يتمتع بها
مفكر معاصر
آخر في مصر.

أدب ونقد

بين الصحيح والباطل في سرية هذا الشخص ومواقفه، فعل ذلك مثلاً في تقييمه للدكتور زكي نجيب محمود وفلسفته الوضعية المنطقية، فبينما حمد الدكتور زكي نجيب دعوته لأعمال العقل وتصديه لغوغائية الذين يستخدمون النصوص التراثية استخداماً يحتقر عقل الإنسان عاب عليه تأييده لزيارة السادات للقدس في عام ١٩٧٧ ولعاهدة الصلح مع إسرائيل في ١٩٧٩، فضلاً عن استهجانه لقيام د. زكي نجيب في وقت مبكر من حياته بترجمة كتاب، اخترت الحرية، لكرافشنيكو لحساب مؤسسة فرانكلين كجزء من الدعاية الأمريكية ضد الاشتراكية.

كما انتقد د. زكي نجيب لأنه لم يميز تمييزاً كافياً بين قضية الانفتاح الثقافي على الغرب وقضية الغزو الثقافي التي يعتبرها د. أنيس جزءاً من قضية أوسع هي قضية الاستعمار الغربي، مجلة أدب ونقد، عدد إبريل ١٩٩٢.

ويجري د. أنيس مثل هذا التمييز فيما يتعلق بالدكتور أحمد زويل بمناسبة الضجة الإعلامية التي أحيط بها لدى حصوله على جائزة نوبل في ١٩٩٩، فبينما أثنى د. أنيس على قراءات د. زويل العلمية ونبوغه، انتقده لتأييده لجماعة كوبنهاجن التي تروج للتطبيع مع إسرائيل، ولقضائه عاماً كاملاً في معهد وايزمان بإسرائيل والقائه خطاباً في الكنيسة الإسرائيلية.

فكان د. أنيس يقول مع الواقع أن هذا الرجل قد نبغ وتفوق في العلم فوجبت تهنئته، ولكنه اتخذ موقفاً سياسياً خاطئاً فوجب توبيخه، «جريدة الأهالي»، ٣ نوفمبر ١٩٩٩.

٢- والدكتور عبد العظيم أنيس يصنف عادة بين المفكرين الماركسيين ولكنه يختلف عن كثيرين ممن عرفتهم أو قرأت لهم من الماركسيين المصريين أو غيرهم فهو مثلاً نادراً ما يستشهد في كتاباته بقول أو رأي قال به ماركس أو إنجلز أو لينين، فالمهم لديه هو الرأي الصحيح وليس مصدر هذا الرأي والواقع في منظر د. أنيس أكثر ثراء بكثير مما يبدو من خلال كتابات الكثيرين من الماركسيين، كما أن الواقع المصري الذي يكتب عنه د. أنيس هو واقع مصري مائة بالمائة ولا يمكن أن يبدو وكأنه واقع روسي أو صيني، وأظن أن هذا هو أحد الأسباب المهمة التي جعلت د. أنيس لا يتأثر، من الماركسيين، فلا هو نكص على أعقابهِ وأعلن تبرأه من الماركسية، ولا هو بحث لنفسه عن مظلة أخرى يحتمي بها، ولا هو أخذ يردد بمناسبة أو غير مناسبة أنه لازال ماركسياً، ولا هو أصيب بالاكتناب أو توقف عن الكتابة وعن إعلان مواقفه من القضايا

أدب ونقد السياسية المستجدة.

عندما أحاول أن أفسر على ضوء هذا، نوع الانتساب أو الولاء الذى يحمله د. أنيس للماركسية أتذكر أستاذة الاقتصاد البريطانية الشهيرة جون روبنسون التى لم تكن هى نفسها ماركسية، إذا كانت ترفض الكثير من أفكار ماركس الاقتصادية والفلسفية، ولكنها كانت تقبل بعض نظرياته الاقتصادية وتتعاطف بشدة مع موقف ماركس الأخلاقى وكراهيته للاستغلال والظلم، وكانت تعتبر أن ذلك الموقف الأخلاقى فى الماركسية أهم بكثير من بعض نظريات ماركس العلمية.

وفى حوار دار بين الأستاذة جون روبنسون وأحد زملائها من الاقتصاديين الماركسيين وجهت إليه هذه العبارة التى لا تخلو من قسوة:

«إنى أحمل ماركس فى عظامى بينما كثيرون من الماركسيين يحملونه فقط فى أفواههم.. كانت تقصد بهذه العبارة أنها تتبنى فقط ما تعتبره صحيحاً فى الماركسية، وتهضمه وتمزجه بما تعتقد بصحته من أفكار الآخرين وتطبقه على ما يصادفها من مشكلات واقعية، بينما يكتفى كثير من الماركسيين بترديد أقوال ماركس دون تمييز كاف بين الصحيح والخاطئ..»

الملائم وغير الملائم، فإذا طبقوها على الواقع كثيراً ما يقعون فى الخطأ. من متابعتى لكتابات د. عبد العظيم أنيس ومواقفه السياسية أميل إلى الاعتقاد بأن الرجل، وإن كان ماركسياً فإنه من نوع جون روبنسون، هذا النوع الذى حمل ماركس فى عظامه وليس فى فمه، يزيد من هذا ما قاله د. أنيس فى حديث مستفيض، نشر فى عدد أغسطس ١٩٩٣ من مجلة أدب ونقد، فى ندوة عقدتها المجلة بمناسبة بلوغ د. أنيس سن السبعين، فعندما سأله أحد الحاضرين «هل أفلست الماركسية؟» قال د. أنيس: برغم الأنهيارات التى وقعت فأنا لا أزال على قناعاتى، بشكل عام، بالماركسية، ولا أزال اعتبر نفسى ماركسياً ولكن حينما نتأمل ماضينا الطويل سنجد أننا عاملنا الماركسية بشكل دوجما، كنظرية جاهزة فيها إجابة على كل الأشياء وحلول كل المشاكل، بحيث لم ننظر إلى هذه النظريات كمقدمات قابلة للتطوير والإضافة والتعديل، ولم ننظر إلى نسبية كثير من قوانينها..

نشأت الماركسية فى ظل ظروف معينة فى القرن التاسع عشر، وكانت صحيحة لكن العالم كله بتغيير، بحيث من الممكن ألا تعود بعض هذه القوانين صحيحة، فيحتاج الأمر إلى تطوير. ومن ناحية أخرى فإننا قد تعاملنا مع شخصيات وقادة الماركسية التاريخية باحترام يصل إلى حد «التقديس».

أدب ونقد صحيح أن هذه الشخصيات جديرة بالاحترام، فما زال رأيى لم يتغير.



حیات و یاد

Beulah Beah



فى عبقرىات ماركس وإنجلز ولينين، ولكن ذلك لا ینفى أنهم ارتكبوا أخطاءاً
وعندما تطرق للحديث إلى الوضع الحالى فى العالم العربى، وعن موقفه من التيارات
الإسلامية فى مصر والوطن العربى، قال:

لننظر مثال حماس. فى فلسطين المحتلة، ولا ینبغى أن نضحك على أنفسنا فى
ذلك. الحقيقة أن الجهات الوحيدة الآن التى تقوم بعمليات فدائية داخل الأرض المحتلة
هى حماس والجبهة الشعبية.. لاشك أنى كماركسى كثير من التحفظات، نحن نختلف
فكرياً اختلافات جذرية. لكننى أحياناً أحس أن فهمى هویدى فى المسائل السياسية
يلتقى معى فى كثير من المسائل ضد إسرائيل، ضد أمريكا، ضد الفساد فى النظام
السياسى، ضد السوق الشرق أوسطية...

٣- كنت فى العشرين من عمرى ١٩٥٥ عندما ظهر كتاب «فى الثقافة المصرية، لعبد
العظيم أنیس ومحمود أمين العالم، وهو ليس إلا كتاباً صغيراً جمع فيه المؤلفان بعض
مقالاتهما التى سبق صدورها فى بعض الصحف. ولكن الكتاب أحدث دويماً كبيراً، وظل
حديث المثقفين لفترة طويلة، كما لا يزال يعتبر إحدى العلامات المميزة فى تطور
الثقافة المصرية، لا أظن أنه كان من الممكن أن يصدر هذا الكتاب، بل ولا حتى أن يكتب،
أو لا قيام ثورة يوليو قبل صدوره بثلاث سنوات.

فكما تجرأت الثورة على المقدسات السياسية فى مصر، الملك والاقطاع والباشوات، تجرأ
مؤلفا هذا الكتاب على المقدسات الأدبية، طه حسين والحكيم والعقاد والمازنى... إلخ..
فتن الشباب من جيلى بالموقف الذى عبر عنه هذا الكتاب الصغير، وهو موقف يمكن
تلخيصه فى عبارة وجيزة، وهى أن العمل الأدبى لا يجب أن يحكم عليه فقط، بل ولا
فى الأساس، طبقاً لمعايير الفن والجمال وحدها، بل يجب أن يخضع أيضاً لمعيار
الالتزام الاجتماعى بأن قضية اجتماعية يلتزم ولصالح أى الطبقات يتكلم؟ أظن أن
هذه القضية كانت أن تكون محسومة اليوم، ولكنها لم تكن محسومة حينئذ، بل أظن أن
هؤلاء الرجال العظام طه حسين والعقاد والحكيم والمازنى فوجئوا بها، وكأنهم لم
يكونوا قد فكروا فيها من قبل.

وقد استشاط بعضهم غضباً - خاصة العقاد - وانهال على المؤلفين بعبارات التحقير
والسخرية فرد عليه عبد العظيم بمثلها، مما تضمنه أيضاً هذا الكتاب.

كنا نتعاطف مع الكاتبين الشباب، اللذين ما كانا قد تجاوزا

الثلاثين بكثير، لسبب بسيط وهو شدة حماسنا للإصلاح الاجتماعى،

أدب و نقد

ولنفاد صبرنا من حدة الازدواجية الاجتماعية التي كانت مصر تعيشها في ذلك الوقت. وكنا نتحرق شوقاً لكتاب وفنانين يعبرون عن أحوال وآمال الأغلبية الساحقة من الشعب المصري، التي كانت تتجاهل تجاهلاً تاماً في الحياة الثقافية الرسمية ووسائل الإعلام كان يسوؤنا بشدة مثلاً أن نسمع طه حسين مرة وهو يخطب في حفل افتتاح جامعة الإسكندرية، جامعة فاروق الأول حينئذ، مرحباً بالملك قائلاً: «شرفت العلم يا مولاي»، وكان يجرح مشاعرنا أن نسمع محمد عبد الوهاب وهو ينشد في أغنية الفن: «الفن مين يعرفه»

إلا اللي عاش في حماه

والفن مين ينصفه

غير الفاروق ورعاه،

كان كتاب «في الثقافة المصرية، إذن أشبه بمانيفستو دشن به شعار «الفن للمجتمع، بدلاً من شعار «الفن للفن»..

٤- بعد عشرين سنة أخرى نشر عبد العظيم أنيس - وكان قد أصبح في الثالثة والخمسين - كتاباً آخر بعنوان «رسائل الحب والحزن والثورة» . عن دار روزاليوسف ١٩٧٦، قرأته عند صدوره فترك في نفسي أثراً بالغاً ، وإن كان أثراً مختلفاً في نوعه اختلافاً تاماً عن أثر كتاب «في الثقافة المصرية، كان هذا الكتاب الجديد، فيما عدا مقدمة وخاتمة قصيرتين، مجموعة رسائل متبادلة بين عبد العظيم أنيس وزوجته الصحفية عايذة ثابت، أثناء وجوده في السجن في أوائل الستينيات. وعلى الرغم من أن المقدمة بها بعض المعلومات المهمة عن المناخ السياسي الذي ساد مصر في ذلك الوقت فإن أهمية الكتاب وأثره ينبعان من جانبه الإنساني وحده. إنه يروي بعبارات مباشرة - ولكنها رقيقة للغاية - قصة حبه لعايذة ثابت ، وكيف أنه لم يكن قد مر على زواجه منها أكثر من شهرين ، كانا من أسعد أيام حياتهما، حين جرى اعتقاله في أول يناير ١٩٥٩، فصلت عايذة ثابت من عملها في صحيفة المساء، وإن لم تعتقل، كما فصلت أنا أيضاً إثر اعتقالى، وأصبحنا نحن الاثنان نواجه الحياة بلا مورد، أنا في المعتقل وهي في الخارج».

ثم يتضمن الكتاب الرسائل المتبادلة بينهما خلال فترة الاعتقال، ولكن معظمها يتكون من رسائله هو إليها، إذ أنه لم يستطع الاحتفاظ برسائلها في السنوات الثلاثة الأولى خوفاً من التفتيش المفاجئ والرسائل القليلة

أدب - نقد

التي استطاع الاحتفاظ بها من رسائلها تخاطبها فيها باسم «سعد» وتوقعها باسم «عنايات». وهما طبعاً ليسا اسمه ولا اسمها، وإنما هما اسم المسجون الذي كان يتسلم الرسائل ويتظاهر بأنها رسائل موجهة إليه من أخته عنايات. ذلك أن المسجونين في جرائم عادية أي المجرمين الحقيقيين كانوا يتمتعون بهذا الحق، حق تبادل الرسائل، بعكس المعتقلين السياسيين الذين كانوا محرومين منه!

ثم يروي عبد العظيم أنيس في خاتمة الكتاب قصة خروجه من السجن وهي قصة تصلح أن تكون فيلماً سينمائياً، ففي ٣ أبريل ١٩٦٤ تم ترحيله مع آخرين من زملائه من سجن الواحات إلى السجن الحربي بالقاهرة تمهيداً للإفراج عنه، دون أن يكون لدى أي فرد من عائلته أي علم بموعد الإفراج عنه، أو بما إذا كان سيفرج عنه على الإطلاق، ويصف شعوره وهو في القطار الذي نقله من أسبوط إلى الجيزة بقوله:

«أحسست في القطار بمشاعر شديدة الشبه لشاعري يوم عودتي من البعثة عام ١٩٥٢، لحظة اقتراب السفينة من شاطئ بورسعيد. لم أكن أعرف واحداً من المنتظرين على الشاطئ ولكني كنت تواقاً إلى احتضانهم جميعاً كأنهم هم جميعاً أهلي وإخوتي. وعندما نزلت إلى الشاطئ وقابلني أول حمال ابتسمت في وجهه ابتسامة عريضة وشدت على يده مرحباً كأنما نعرف بعضنا البعض منذ زمان طويل. وأغلب الظن أنه نظر إلى في دهشة لا يفهم لهذه التحية الحارة سبباً!»

ثم يقول:

«كانت ابتسامات ضابط المباحث العامة في انتظارنا.. قالوا لنا إننا سوف نكون في بيوتنا بعد ثلاث ساعات عندما ينتهون من ملء استمارات البيانات اللازمة وتصوير كل واحد منا.. وعندما سمح له باستخدام التليفون..

... حاولت أن أتصل بشقيقتي فتحية في الدقي. وجاء صوت زوجها واضحاً يسأل: من المتكلم؟ وعندما أجبت صرخ الشيخ الكهل، كأنما مسته صاعقة، منادياً على شقيقتي، وجرت إلى التليفون وهي تصرخ وتضحك وتزغرد وتبكي في آن واحد لا تريد أن تصدق..

ولا أعرف ما حدث بالضبط بين إخوتي بعد هذه المكالمات، ولكني علمت بعد ذلك أن وفداً من العائلة ظل ينتظرني أمام الباب الأمامي للسجن الحربي في العاشرة صباحاً حتى الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم.

أما أنا فقد فتح لي ولثلاثة من زملائي الباب الخلفي للسجن

الحربي في الساعة الرابعة بعد الظهر تماماً، وقيل لنا انصرفوا!

أدب ونقد

وخرجت إلى دنيا الحرية.. على جسدى سترة قديمة كانت ملقاة فى مخازن سجن الواحات سنوات، وفى يدى كيس ممزق من القماش به حاجيات الحلاقة ومعجون وفرشاة أسنان وغيار داخلى وكتاب عن موسيقى الشعر وآخر فى المنطق وبعض أبحاث القديمة فى الرياضيات، وفى جيبى ورقة بخمسة جنيهات هى كل ما أملكه فى هذه الدنيا..

ويصف عبد العظيم أنيس ما مر به فى طريقه من السجن الحربى إلى العمارة التى تسكن بها شقيقته ثم يقول:

«وعندما ارتقيت درجات العمارة - متجاهلاً المصعد - فى سرعة، وضغطت على جرس الشقة لم يكن فيها غير شقيقى وابنة عمى وأمها. أما الباقون فقد كانوا هناك.. عند الباب الأمامى للسجن الحربى ينتظرون! كانت شقيقتى تنتظر عودة صبي المكوجى بالفساتين التى أرسلتها للكى فى هذه المناسبة، وذهبت ابنة عمى تفتح الباب فى تناقل للمكوجى الصغير فوجدتنى أمامها، وإذا بها تقف على الأرض مغشياً عليها.. وعندما أفاقت عرفت كل شيء.. عرفت أن عايده ثابت بالإسكندرية فى زيارة لخالتها، وأن أولادى - أيضاً خارج القاهرة - لكنها عادت فى المساء، وكان لقاء.. وأى لقاء،

وفى آخر صفحة فى الكتاب ينشر عبد العظيم أنيس آخر خطاب تسلمه من عايده ثابت، أرسلته إليه وهو فى الدانمارك فى أغسطس ١٩٦٥، وكانت ابنتهما حنان على وشك أن تولد، ويقول إنه اختار هذه الرسالة لكى يختم بها الكتاب، لأنها تعبر عما أعانيه الآن، ١٩٧٦،

«زوجى العزيز..»

وصلنى كارتك ارجو أن تكون الأمور قد استقرت. كما ارجو ألا تحمل هم الفلوس، استمتع بوقتك وعد إلينا فى صحة جيدة راضياً سعيداً.

المهم أنك وحشتنى أوى. وحشتنى كلماتك الحلوة عندما توقظنى فى الصباح وتقولى «قومى بقى يا ماما»، ومعك الورد البنفسجية الجميلة. إننى أخرج كل صباح لأنظر إليها واكتفى بذلك حتى تعود وتقدمها لى مع قبلة الصباح. وحشتنى ضحكاتك ومشاكساتك وجلساتنا فى البلكونة البحرية. كل شيء هنا يذكرنى بك، ولكن كل شيء يلفه الصمت.. لا أحد أتحدث معه ولا أحد أضحك معه.. إننى وحدى هكذا دائماً حتى تعود إلى عايده..

•••

أدب وفد عدت إلى القراءة من جديد فى هذا الكتاب. فلاحظت - بعكس ما



حدث عند إعادة قراءتي لكتاب «في الثقافة المصرية» - إنه لم يحدث أي تغير في درجة تعاطفي مع الكتاب عنا كانت عندما قرأته لأول مرة منذ أكثر من عشرين سنة. بل أضل أنه ترك في نفسي أثراً أقوى مما تركه في المرة الأولى. وقلت لنفسي: لعل السبب أن الآراء السياسية والاجتماعية قد تتغير حقاً من وقت لآخر، أما العواطف الإنسانية، خاصة إذا جرى التعبير عنها بهذه الدرجة من الصدق، فإنها باقية

أدب ونقد معنا إلى الأبد ■

عالم الرياضيات الوطنى

د. مينا بديع عبد الملك

أستاذ الرياضيات بهندسة الإسكندرية

الذى كان مولده فى 15 يوليو 1923 وحصل على بكالوريوس خاص فى الرياضيات بكلية العلوم جامعة فؤاد الأول (حاليا جامعة القاهرة) فى عام 1944 عين بعدها معيدا بقسم الرياضيات. كلية العلوم. جامعة فاروق الأول (حاليا جامعة الإسكندرية)، سافر بعد ذلك الى لندن وهناك حصل على دبلوم الكلية الملكية بلندن فى الاحصاء الرياضى عام 1951 ولنموغه الشديد حصل على دكتوراه الاحصاء الرياضى من جامعة لندن فى عام 1952 عاد بعدها الى أرض الوطن وشغل وظيفة مدرس الرياضيات البحتة بكلية العلوم. جامعة القاهرة، فى نفس العام، بعدها سافر الى لندن وبها شغل وظيفة مدرس علم الاحصاء الرياضى بجامعة لندن عام 1955 وفى عام 1966 عين أستاذا للرياضيات البحتة بكلية العلوم. جامعة عين شمس، ثم فى عام 1983 عين أستاذا متفرغا بكلية التربية. جامعة عين شمس.

عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر 1956 كان الدكتور عبد العظيم أنيس فى لندن أستاذا مرموقا فى تخصصه، ولما وقع العدوان قاد مظاهرة وخطب فيها بحماس وطنى منددا بالعدوان وترك لندن وترك عمله وعاد الى القاهرة، وما هى إلا سنوات قليلة

فقدت مصر
عالم
الرياضيات
التميزوهاوى
الأدب والناقد
للأعمال
الأدبية
الأستاذ
الدكتور
عبد العظيم
أنيس
أدب ونقد

وبالتحديد فى الأول من يناير 1959 حين تم اعتقاله، ففصلت زوجته عايده ثابت .
رحمها الله . وكانت صحفية بجريدة المساء، وفصل هو إثر اعتقاله ولم يكن قد مر على
زواجه منها أكثر من شهرين، وأصبح كل منهما يواجه الحياة بلا مورد فهو فى المعتقل
وهى فى خارج العمل!!

فى عام 1976 صدر له عن دار روزاليوسف كتاب (رسائل الحب والحزن والثورة) وهو عبارة
عن الرسائل المتبادلة بينه وبين زوجته الصحفية فى أثناء وجوده فى السجن، وفى
نهاية الكتاب يروى قصة خروجه من السجن، وكما يقول أستاذنا الفاضل الجليل د.
جلال أمين فى كتابه (شخصيات مصرية فذة . سلسلة اقرأ . دار المعارف 2003): هى قصة
تصلح لأن تكون فيلما سينمائيا فى 3 أبريل 1964 تم ترحيله من السجن مع آخرين من
زملائه، من سجن الواحات الى السجن الحربى بالقاهرة تمهيدا للافراج عنه، دون أن
يكون لدى أى فرد من أفراد عائلته أى علم بموعد الافراج عنه، ويسجل لنا د.
عبدالعظيم أنيس مشاعره بقوله:

(... أحسست فى القطار بمشاعر شديدة الشبه بمشاعرى يوم عودتى من البعثة
عام 1952 لحظة اقتراب السفينة من شاطئ بورسعيد، لم أكن أعرف واحدا من المنتظرين
على الشاطئ ولكنى كنت تواقا الى احتضانهم جميعا كأنهم هم جميعا أهلى واخوتى،
وعندما نزلت الى الشاطئ وقابلنى أول حمال ابتسمت فى وجهه ابتسامة عريضة
وشددت على يده مرحبا كأنما يعرف بعضنا البعض منذ زمن طويل، وأغلب الظن أنه
نظر الى فى دهشة لا يفهم لهذه التحية الحارة سببا)، وبأسلوب أدبى رقيق يصف لنا
بعد ذلك كيف كان الاستقبال فى شقة شقيقته بحى الدقى بالقاهرة بأسلوب سهل
وبأسط الوسائل، وهو بذلك يرد القضايا العديدة الى عناصرها الأولية الذى هو
المنهج الرياضى، وان كان أستاذنا الفاضل يقول إنه قد خرج الى دنيا الحرية فى 3
أبريل 1964 فإننى أقول إنه خرج الى عالم النور والحق والشفافية فى 15 يناير 2009 حين لا
ظلام ولا ظلم ولا ضغينة ولا ضعف ولا حقد، بل هناك يكافئ مكافأة العلماء الأفاضل
الذين كانوا صادقين فى علمهم، ومكافأة الوطنيين الأوفياء الذين كانوا صادقين فى
وطنيتهم، ومكافأة الفقراء الذين باعوا كل شىء واكتنزوا لأنفسهم الحقيقة التى هى
أثمن من كل شىء ■

أدب ونقد

أجمل شيوخ رأته عين!!

د. محمد الباجس

والذي أكد فيه أن مذابح غزة بدأت في كامب ديفيد التي وقعها السادات في سعيه لإرضاء سادة البيت الأبيض.. فارتكب سقطة تاريخية وهي جريمة اعتراف مصر بالدولة الصهيونية مؤكداً أن شعوره بالغضب الشديد لبشاعة ما يجري في غزة يحمل في تضاعيفه شعوراً بالتضاؤل مبعثه انتفاضة الشارع العربي على هذا النحو الكاسح.. تلك الانتفاضة التي لن تتبدد أو تذهب سدى.. وإذا كان العصر قد شهد تراجعاً مؤقتاً للأيديولوجيات فإن الدين بإمكانه جمع الناس وشحنهم بنوع من الحماس.. وهو ما تحتاجه القضية الفلسطينية في تلك المرحلة الحرجة التي تعد من أسوأ الفترات التاريخية التي مرت على المنطقة، قال ذلك رغم اختلافه مع التيارات التي تبرر الصراع على أساس ديني.. وهو أحد مفاتيح شخصية المفكر الأبرز محمود أمين العالم بل هو المفتاح الرئيسى لشخصيته دون جدال.

وتتداعى الذكريات متراجعة إلى عام ١٩٦٤ وكنا طلاباً لانزال نحبو في الجامعة.. وقد فاجأني الصديق العزيز د. نصار عبدالله وكان وقتها طالباً في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وشاعراً تنشر له الآداب البيروتية وغيرها. قبل أن يتخرج فيها ثم يعرج على كلية الآداب

كانت آخر
كلماته التي
نشرتها
«الأسبوع» في
عددها
الأخير الصادر
قبل رحيله
بيوم واحد..

أدب ونقد

ويصبح أستاذا شهيرا للفلسفة السياسية.. قال هامسا: لقد بهرتنى عدة دراسات عثرت عليها مصادفة تناولت الحضارتين العربية والإسلامية كتبها محمود أمين العالم وعرض فيها للتوحيدى وابن طفيل وابن رشد.. وغيرهم .. فرحت اسأل عنه وعرفت أنه شيوعى.. وقد توفى من سنوات.. فأخبرته أنه لم يمت.. بل كان معتقلا منذ أكثر من خمس سنوات.. وقد أفرج عنه مؤخرا مع عدد من زملائه بعد إعلان عبدالناصر للخيار الاشتراكى.. وفجأة انشقت الأرض عن محمود أمين العالم.. كان يسير ببطء متأمل.. باتجاه جلستنا على كافيتيريا كلية الحقوق.. ومعه كامل زهيرى حيث شاركنا فى ندوة فلسطين العالمية التى عقدت فى جامعة القاهرة وشارك فيها مفكرون من أنحاء العالم.

وكان لقاء .. ضحك، العالم، حتى دمعت عيناه.. ولما علم أن نصار، شاعر سكن تماما يصغى إليه.. ويستزيده.. كانت قصائده، على حدائثها، تنهل من التراث الإسلامى قيماً ومعان ورموزاً.. والعالم، يبدى إعجابه الشديد ويؤكد أن صديقنا الشاعر قد اتسق مع نفسه وثقافته وقرائه.. وراح يحدثنا عن شعراء الحداثة وقتها: حجازى وعبد الصبور وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة وغيرهم وأعمالهم التى اغترفت من التراث العربى والإسلامى واستهلته.. فكتبوا عن الشهيد فى النجف.. وعدل عمر.. واشتراكية أبى ذر الغضارى.. وفضول المال.. ومذبحة القلعة.. واتسعت الحلقة وقال، العالم، إنه تزيى فى كتاب الشيخ السعدنى.. ووسط أسرة شديدة التدين.. وبيئة إسلامية.. وقد أفاد من ذلك كثيرا فى حشد كل القيم الايجابية التى يندخر بها قرائنا.. فى فهمه وإيمانه بالعدل الاجتماعى.

وهو ما يؤكد مرة ثانية المفتاح الأساسى لشخصية محمود أمين العالم المفكر الموسوعى، صاحب القامة التى لا تطاول.. فقد كان التسامح الفكرى أهم سماته.. دون أن يفرض فى ذرة من قناعاته.. يكن احتراماً للرأى الآخر باعتبار أن الحقيقة لها وجوه كثيرة.. وأن التعصب للرأى لا يعنى صوابه.. وظل طوال عمره الذى اقترب من التسعين متسامحاً.. بشوشاً.. حتى مع من يختلف معه.

فى ذلك الوقت كانت كلمة «الشيوعية»، مازالت شيئاً مبهماً وملتبساً ومخيفاً.. تغلفها افرازات الاستعمار الذى عانته مصر سبعين عاماً.. وأعوانه من القوى الاقطاعية والرجعية.. وكان رسامو الصحف يبالغون فى تصوير مناخات الريبة.. والتوجس والعتمة والتجهم والزراية عند ذكر الكلمة واتباعها.. ويبدو أن كل ذلك قد ترك انطباعه على البعض ممن اتصلوا باليسار وافتسبوا إليه بشكل أو

آخر.. فكان كل من قرأ صفحتين من مؤلفات ماركس أو مختارات

أدب ونقد

لينين يتقمص الحالة وتلبسه الجهامة والتأفف والنزق، والادعاء باحتكار الحكمة والتعالى.. يتسقط أى مناسبة ليفرغ شيئاً مما وقف فى حلقه.. لم يقدر على التخلص منه ولم يستطع هضمه.. وكان محمود أمين العالم وزملاؤه من الكبار، بتسامحهم وبساطتهم وعلمهم الغزير وإيمانهم الحقيقى بالحرية والعدل الاجتماعى والاشتراكية ونضالهم واستعدادهم لدفع ثمن قناعاتهم سجوناً وتشريداً واضطهاداً.. الوجه المضىء للفكر الاشتراكى الذى عمل على محو كل ذلك التشوه.. وكان «العالم» بالذات الأسبق والأقدر على إقامة الجسور مع الأوساط الثقافية والفنية، بل إنه كان وراء كل الانجازات الثقافية والفنية التى حققتها ثورة يوليو بفكره واسهامه.. ولعل كلمته فى مؤتمر الأدباء العرب الثانى (٢٠. ٢٧. ايلول ١٩٥٦) فى دمشق حيث كان عضواً فى وفد مصر الذى ترأسه «طه حسين، دليلاً على الخط الذى رسمه لثورة يوليو فى هذا المجال.. قال: «إن بلادنا ماتزال متخلفة، وماتزال أركان منها يتجاذبها الاقطاع والاحتكار والرجعية.. وأن الأغلبية من شعبنا أمى لا يقرأ ولا يكتب.. وقد نحتاج إلى أجيال من التثقيف والتوعية لشعبنا لو أخذنا طريق الكتاب وحده.. إن استعانتنا بالفنون الجماهيرية كالإذاعة والمسرح والسينما فى تصوير أدبنا وإذاعة رسالتنا لكفيل بأن يرفع من مستوى الوعى والتذوق والابداع بين أمتنا.. وتحقيق أهدافنا القومية فى حماية الاستقلال وانجاز الوحدة العربية الشاملة.. ومن حقنا أن نعترف أن السينما فى بلادنا لاتزال تحتكرها فئة من الرأسماليين الجشعين الذين يتخذون منها تجارة للمبازل فى كثير من الأحيان.. من أجل هذا كله كان من واجبنا نحن الأدباء العرب أن نناضل من أجل تحرير السينما من الاستغلال والاحتكار وأن نجعلها فناً شعبياً وطنياً ومعها الإذاعة والمسرح.. وبهذا نتيح لأدبنا مستويات جديدة من النضج والابداع.. ونتيح له كذلك أن يكون بحق أداة اجتماعية ثورية حتى نحقق رسالتنا نحو أمتنا العربية التى هى رسالة الوحدة والاستقلال الكامل والديمقراطية الصحيحة والرفاهية والسلام.

وقد تجلت سماحته وفكره المحيط فى علاقته بالزعيم جمال عبدالناصر.. متجاوزاً عن أخطاء وخطايا «الأجهزة» فلم تدفعه معاناته الذاتية إلى حماقة الكفر بكل شىء.. وظل حتى آخر يوم فى حياته يكن لعبدالناصر ونزاهته وطهارة مسلكه تقديراً خاصاً، ويشيد بمشروعه القومى وقيادته لحركات التحرر الوطنى والخيار الاشتراكى.. وانفعل بالدورة الزمنية الخاطئة بعد رحيل

أدب وفد

عبد الناصر وواجه السادات كاشفاً أبعاد انقلابه على عبد الناصر ومشروعه القومى.. ولعبة الصراع، المحكوم، بين فئات الشعب.. وحياته للتيارات الإسلامية فى مواجهة التقدميين والناصريين والفتنة الطائفية التى مازالت مشتعلة حتى اليوم والأثرياء الذين انحاز لهم فى مواجهة الفقراء.. وكل ذلك ليضمن بقاءه على أريكة الحكم بغض النظر عن مصلحة الوطن.. وصحت نبوءة، العالم، فدفع السادات حياته ثمناً لما اقتطفه ودبر له.. وإن كانت آثاره مازالت قائمة يتحصن خلفها ويدافع عنها أعمدة فاعلة داخل النظام ممن طفت بهم أيام السادات فتمددوا على آرائك السلطة والنفوذ.. وباركوا وشاركوا فى اتفاقية كامب ديفيد والصالح المنفرد مع عدو الأمس واليوم والغد.. والتى جرمها، العالم، علانية.. وكانت وراء اعتقاله ومعه العديد من الكوادر اليسارية والناصرية.. ليفاجأ باتهامه بالخيانة العظمى.. فنهض بجسارة المفكر الملتزم يرد الاتهام إلى جلاديه.. فاتهم كامب ديفيد ومن وقعها بالخيانة العظمى.. فكان الإفراج عنه وحده دون مقدمات.. وفتح أمامه الباب للنفى الاختيارى أستاذاً فى أكسفورد ثم استاذاً فى جامعة باريس.. ولم يعد إلا بعد مصرع السادات.. ليواصل نضاله منظراً وفيلسوفاً وناقداً ومبدعاً وفاعلاً فى مختلف مجالات المعرفة.. ورمزا فى كل حركات الاحتجاج.. وصاحب رأى نافذ ورؤية كاشفة فى كل قضايا الوطن.. وكنا من فرط الحب نعتقد أنه لن يموت.. ولن تستطيع الأيام طي صفحة الضياع والألق، وسمو العقل والنفس.. لأننا مازلنا وسنظل بحاجة إليه.. يطرح علينا من فكره ما يبدد الظلمة.. وينير البصيرة ويعرض لأعمق الأمور فإذا هى فى متناول الجميع.. ولكنه فاجأنا بالرحيل.. أجمل شيوعى رأته عين.. وبكت لرحيله

أدب ونقد عين

كم بكينا دمعتين ووردة!

د. عبد العظيم أنيس

هل يكفى أن أقول إن صداقتى لفريدة هى السبب؟ لا أعتقد هذا سبب كاف..

قلت: ربما كان السبب أن عالم سجن النساء هو الجديد وربما كان السبب الأهم أن هذا الكتاب هو أول شهادة أقرؤها لمناضلة مصرية عن السجن مع كثرة شهادات الرجال الذين دخلوه لأسباب سياسية بدءاً من كتاب العقاد (فى السجن) وانتهاء بكتاب فتحى عبد الفتاح (شيوعيون وناصريون) وكتابى (رسائل الحب والحزن والثورة).

نعم.. هذه إذن فريدة النقاش المناضلة والأم والزوجة والصحفية تدلى بشهادتها عن السجن الذى قضت فيه نحو شهرين فى أغسطس ١٩٧٩ عندما اقتادوها هى وزوجها حسين عبد الرازق من مصيف جمصة ثم أعيدت إليه مرة أخرى فى ٣١ مارس ١٩٨١ وقضت فيه نحو تسعة أشهر.

تم هذا كله فى مرحلة من أخطر مراحل مصر الحديثة مرحلة الردة الساداتية عندما خان نظام السادات كل تراثنا السياسى والوطنى والثقافى وأدار ظهره لمصالح هذا الوطن وتلك الأمة وداس باسم السلام كرامة الشعب وشهداءه بأحذية الغزاة الصهاينة والأمريكيين

حين طويت
آخر صفحة
من كتاب
فريدة النقاش
الجديد
(السجن -
دمعتان ووردة)
أخذت أسأل
نفسى: لماذا
أقبلت على
قراءة الكتاب
بهذا النهم
الغريب مع أن
عالم السجن
ليس جديداً
بالنسبة لى
وعلى كثرة
مشاغلى فى
هذا الموسم من
السنة
الأكاديمية؟

أدب و نقد

عندما زيف الاستسلام فقليل إنه السلام.. أو بمعنى آخر عندما تمت خيانة كل التراث
النضالى لثورة عرابى وثورة ١٩١٩ وثورة يوليو المجيدة تحت أعلام كامب ديفيد.

كانت التهمة التى وجهت إلى فريدة النقاش هى عضوية الحزب الشيوعى المصرى لكن
كان ذلك شكلا لا أكثر ولا أقل، أما المضمون الحقيقى للتهمة فهو نشاطها ونضالها فى
صف القوى الوطنية المصرية التى وقفت - دون حساب للربح أو الخسارة - ضد هذه
الردة السياسية ضد الاستسلام وخيانة مصالح المواطن، فقالت ضمن الوف : لن يمر
الصهاينة من هنا ونحن فى القاهرة وهى لاتزال صامدة فى هذه المعركة الحاسمة
معركة نكون أو لا نكون : لم تطو اعلامها ولم تنزوى فى ثياب الحداد!

عندما نقفل آخر صفحة من كتابها يأتينا من بعيد صوت فنان الشعب اللبنانى
مارسيل خليفة وهو يغنى قصيدة الشاعر العربى:

أجمل الأمهات التى انتظرت ابنها

أجمل الأمهات التى انتظرت

وعاد مستشهدا

فبكت دمعتين ووردة ولم تنزوى

فى ثياب الحداد.

وها نحن دائماً وعلى طول مسيرتنا الصعبة نبكى دمعتين ووردة، نترك للأجيال التى
تلينا ليس دموعنا الغزيرة وإنما هذه الوردة التى تعهدناها من طينة شهدائنا من
محبثهم لهذا الوطن وذلك الشعب بعماله وفلاحيه وجنوده ومثقفيه.

عندما سيقف فريدة فى المزة الأولى إلى زناينة قدرة فى مبنى المباحث العامة سألها
الحارس العجوز: لماذا جئت؟

قالت: لا أدرى ولكننى عضو فى حزب التجمع الذى تلاحقه الحكومة قال الحارس
العجوز: حين تشتد العواصف ليس عيباً أن ينحنى الناس يا ابنتى.. تذكرى أولادك..
كيف يكون حالهم إذا تعرضت للحبس الطويل.

لكن لهذا الشعب حكمة أخرى غير حكمة هذا الحارس العجوز، غير حكمة الريح
والخسارة وربما لم يكن هذا الحارس يعرف أن فريدة وزوجها حسين قد تركا وراءهما
عندما أتيا إلى السجن طفلين فى المنزل هما رشا وجاسر، كذلك كان حال فتحية زوجة
زكى مراد عندما أخذوها بعد مصرعه بشهور فتركت وراءها أربعة أطفال أصغرهم لم
تكن قد أكملت عامين من العمر، وكذلك فعلوا بشاهنדה زوجة شهيد

كمشيش صلاح حسين الذى اغتاله الاقطاعيون فى زمن عبد الناصر

أدب - نقد

فتركت وراءها ابنتها الصغيرة باسمه وهى مأخوذة إلى السجن.

فريدة وفتحية وشاهنדה.. هذا الثلاثى الفذ من نساء مصر فى سجون السادات لم يدعن بطولية زائفة فى هذا الموقف فكم سالت دموعهن حزنا على فراقهن لأطفالهن لكنهن تعلمن الصبر والصمود والتواضع وكان وضوح الرؤية عاملا مهما فى هذا التماسك وتلك الصلابة.

كتبت فريدة من السجن إلى ابنتها جاسر تقول: نحن يا حبيبى نعيش فى ظل هيمنة هؤلاء الذين ابتذلوا ثقافتنا الوطنية والقومية وتراثنا ليقيموا أدلة على طيبة الظالمين..

ذلك ذنب عظيم لا يكفر عنه شيء مهما كبر.. فما بالنا لو كانت كفارتهم ذلك الابتهاال الزائف إلى الله والتفتيش فى القرآن الكريم لاستخراج شهادة براءة لأعدائنا.. إن صلابتهم الحقيقية يا حبيبى وقرايبينهم تقدم للبنجاجون والكونجرس والكنيست فهل ننتظر من هؤلاء أن يعرفوا لغة الغياب والحضور؟ هل تحزن يا حبيبى لأننا ننتمى إلى هذا الميلاد الصعب للعالم القادم؟

نحن فقط نغيب بهذا العذر القاهر فلا تحزن وانتظرنا دائما.

وفى سجن القناطر كان صوت شاهنדה النحاسى يدوى بحكمة القلب الذى عرف طريقه إلى تلك الحكمة من خلال المأساة.. مأساة مصرع الزوج برصاص الإقطاعيين واستشهاد شقيقها الطيار أشرف بقذيفة أمريكية صهيونية فى آخر يوم من أيام حرب الاستنزاف على ضفاف القناة.

ولم تتردد عندما رأت أحد ضباط المباحث يهم بالصلاة فى أن تمسكه من ذراعه وتقول له : «إن الله لن يقبل هذه الصلاة أبدا.. تعذب الناس ثم تتصور إن المغفرة سهلة! دا بعدك..» كما لم تتردد فى أن تنتزع بيديها القويتين أسلاك الشباك الذى حاول ضابط المباحث أن يضعها على زنزانتها وزنانة صافى ناز كاظم فى محاولة لمنعهما من الاتصال.

كان مكسيم جوركى يحكى للكاتب العظيم تولستوى كيف عمل فى مرحلة من حياته بستانيا فى منزل جنرال روسى من جنرالات القيصر وفوجئ ذات يوم وهو يعمل فى الحديقة بزوجة الجنرال تضرب إحدى خادمت المنزل ضربا وحشيا فلم يتمالك جوركى نفسه وهجم على زوجة الجنرال وضربها على مؤخرتها وأنقذ الخادمة لكنه فصل من عمله.

وضحك تولستوى حتى دمت عيناه وقال لجوركى: إن لك قلبا

أدب ونقد

حكيمًا!

بهذه الحكمة التى فى القلب كما هى فى العقل تشهد عشرات وعشرات من صفحات كتاب فريدة النقاش.

وهى تحكى قصة هذا الثلاثى من نساء مصر فى سجن القناطر فى مواجهة القضبان والمفتاح الثقيل الذى يدور كل عصر فى باب الزنزانة فيعلن عزلتهن النهائية لمدة أربع عشرة ساعة متواصلة من كل يوم.

أليس من حقنا أن نقول مع الشاعر

أجمل الأمهات التى عينها لا تنام

تظل تراقب نجما يحوم

على جثة فى الظلام.

لكن كتاب فريدة النقاش لا يقدم شهادة مناضلة مصرية فى السجن فحسب ولا هى تقدم مجرد الرسائل الشعرية الرقيقة التى كانت تبعث بها إلى زوجها فى سجن طرة أو إلى ولديها جاسر ورشا فى الخارج والتى عبرت بها عن أزمتها العاطفية لابتعادها عنهما وما يمكن أن يسببه هذا البعد والاعتقال لهما من أزمت نفسية كما عبرت بها عن صمودها الإنسانى فى وجه الظلم والقضبان.

كلا.. لقد قدمت فريدة أيضاً فى هذا الكتاب شهادة فذة عن الحياة الحقيقية فى سجون مصر اليوم.. وفى سجن النساء بالقناطر بالذات عن تريزا ونظيمه المصدورتين عن السيدة (مزاج)، تاجرة المخدرات، عن لى المطوة التى احترفت الدعارة، عن مأساة موت صفية التى ضبطت تمارس الجنس مع مسجونة صغيرة، عن مهندسة الديكور (ل.ح) التى تزوجت الكويتى العجوز وعاشت ابنة الشاب، وعن مشروع الراقصة المجهضة (صباحة) التى تذكرنا شخصيتها بزوريا اليونانى فى الرواية أو الفيلم، عن سلوى التى نشلت ساعة من إحدى تاجرات المخدرات وعندما علمت أن ساعة فريدة لا تعمل وقدمتها لها تحية ومودة.

فى هذا العالم الغريب الملىء بالسل والحرب والعراك الليلى والإيقاعات الشعبية من عويل ورقص وغناء وزغاريد وطقوس ذات ملامح أفريقية تمشى تاجرات المخدرات مرفوعات الرأس محصنات بما يملكن سواء فى خارج السجن أو داخله، تحتقرن كل الجرائم الأخرى باستثناء السياسة لأنهن يعرفن من خبرتهن أن الانقسام الاجتماعى الموجود فى الخارج ممتد بشكل أكثر ضراوة إلى داخل السجن، وأن الفساد والرشوة اللذين بالخارج هما سلعة عادية ومقبولة بالداخل

أدب ونقد



أيضاً.. ومع هذا كله ثمة عديد من المواقف الإنسانية التي لم تخطئها عين فريدة
الصحفية وقلب فريدة الفنانة والتي لا يتسع الحديث عنها في مثل هذه العجالة.
وتعترف فريدة في النهاية إن كتابها هذا يبدو بلا ختام؛ كتاباً مفتوحاً قابلاً أبداً..
للزيادة وليس للنقصان.. فمتى يختم مثل هذا الكتاب إذن؟
تقول فريدة: «عندما ينجح المد الديمقراطي في إسقاط القوانين الاستثنائية وإلغاء
حالة الطوارئ وإغلاق المعتقلات السياسية إلى الأبد وصولاً إلى اليوم الذي تنتزع فيه
الجماهير الديمقراطية وتحرسها.

وإلى أن يأتي هذا اليوم ستظل مثل هذه الكتب مفتوحة بلا ختام
وستظل عيوننا أيضاً مفتوحة بلا أحلام زائفة أو أوهاام. ■

أدب ونقد

رسائل العذوبة والتسامح

شعبان يوسف

رفض الدكتور عبد العظيم أنيس أن يبقى بيننا، بعد رحيل رفيق عمره ومسيرته السياسية والفكرية محمود أمين العالم، فالعالم رحل صباح السبت ١٠ يناير الماضي، ولحقه أنيس في صباح الخميس التالي أي ١٥ يناير، خمسة أيام فقط بين رحيلين مدويين ولافتين. وكان بينها رحيل آخر ذو طابع مأساوي وكارثي، رحيل ملطخ بالفساد والعفن وجميع أشكال بيروقراطية العابثين، أقصد رحيل الصديق والرفيق والأخ يوسف أبورية، الكاتب الروائي، والذي اختطفته غريبان سود ينعنقون على أشجار جرداء عمياء، أشجار تقف في خرابة كبيرة لا أعرف اسمها ولا عنوانها.. سوى الفوضى الكاملة والنشطة.. إنه أسبوع الآلام الدامي، وتظلمه أحداث أخرى تمر في الجانب الآخر، الجانب الغربي أقصد غزة، حيث آلات الطغيان والبرابرة الجدد بكل أقدامهم الحديدية الثقيلة، يدوسون على أعواد خضراء وأطفال عزل..

في ظل كل هذا رحل العالم الرياضي، والمفكر، والشاعر والناقد الدكتور عبد العظيم أنيس، وإذا كان رحيل عبد العظيم أنيس جاء وسط كل هذه الأحداث، فحياته أيضا كانت حافلة ومزدحمة بانقلابات حادة وجادة، وملبئة بأشكال العطاء الوطني والإنساني الجهم، منذ أن قبض عليه، وهو في الثانية عشرة من عمره، وهو يسير في مظاهرة احتجاجية عامي ١٩٣٦/٣٥ وقضى ليلة في السجن، كان البوليس قد تعرف عليه عندما سقطت كراريسه وكتبه المدرسية، وكان مكتوبا عليها اسمه، فذهبوا إلى

أدب ونقد

منزله، وأخذوه من بين أفراد أسرته، ليودعوه فى السجن، هذا السجن الذى صارت له قصص وحكايات أخرى، أكثر تأثيرا من هذه الليلة المبكرة، فقد قضى عاما ونصف العام من سبتمبر ١٩٤٩ حتى ١٠ يناير ١٩٥٠، وقد مرض فى آخر مدة السجن . ونقل إلى مستشفى الدمرداش؛ حتى أفرج عنه عندما أجريت الانتخابات العامة، وعادت الحكومة الوفدية، فأفرجت عن جميع المعتقلين ، وعندما أفرج عنه، عاد إلى جامعة الإسكندرية، التى وجد هناك تقاعسا فى قبوله، وتسليمه العمل، وساعتها ذهب أنيس إلى الدكتور طه حسين، الذى كان وزيرا للتعليم بالوزارة الوفدية، وكان موقف طه حسين رائعا - كما وصفه أنيس فى ذكرياته - وأنصت باهتمام له ولعب دورا حاسما فى إعادته إلى عمله بالجامعة.

أما قصته الثالثة مع السجن ، فكانت مع مئات اليساريين عندما قبض عليه فى ١٩٥٩، وأفرج عنه فى أبريل ١٩٦٤، وأظن أنه لم يفلت من المضايقات المقنعة والمستترة لأسباب سياسية أيضا. رغم أنه تولى مناصب كبيرة كان من بينها أنه ترأس هيئة الكتاب - شركة الكاتب العربى للطباعة والنشر - لمدة عام، من نوفمبر ١٩٦٧ حتى نوفمبر ١٩٦٨، فى ظل وزارة ثروت عكاشة، الذى اختاره لينتشل الشركة من عدة مأزق كبيرة ، وكانت علاقة أنيس بعكاشة قديمة، منذ الأربعينيات يقول عنها أنيس : «لقد عرفت ثروت عكاشة قبل الثورة. إذ كنا من شباب حى العباسية. ومع أنها كانت معرفة عابرة، إلا أنها تجددت بعد الثورة عندما كان هو الملحق العسكرى لمصر فى باريس.. ورغم أن علاقة أنيس بعكاشة كانت تتأطر بنوع من الصداقة ، ثم أكد هذه الصداقة العمل معا، فإنها قد شابتها بعض العكارة. عندما أصدر عكاشة مذكراته، وكتب أنيس مقالين عن هذه المذكرات مقرظا لها، ومثنيا عليه، وأيضا أخذ على المذكرات بعض المآخذ، التى تتعلق بخلط التواريخ كما يحدث مع الجميع، عندما تسقط الأحداث فى ضبابية الزمن، فما كان من أنيس إلا أنه صحح بعض هذه التواريخ، وذلك أغضب ثروت عكاشة، الذى ظن أن «أنيس، خضع لتحريض من شعراوي جمعة - الذى كانت تربطه صداقة مشينة بمحمود أمين العالم، كما يقول أنيس - وهذا ما أغضب عكاشة حتى إنه عاتب خالد محيى الدين حيث إنه وافق على نشر مقالى أنيس فى جريدة «الأهالى، ولم يكن أنيس يدرك عمق الصراعات التى كانت تدور بين الوزراء خاصة بين عكاشة وزير الثقافة وشعراوي جمعة وزير الداخلية، ولكن «أنيس، أراد أن يوجه تحية لعكاشة، فكتب توضيحا بالغ الدقة عندما قامت الدكتورة سعاد الصباح بتكريم الدكتور ثروت عكاشة، وأظنه قد أزال لبسا كبيرا كان قد وقع بين

أدب ونقد

الصديقين القديمين.

وهذه الواقعة تدل على أن أنيس، رغم كل ما يحيطه من خشونة، وشظف الأحداث، ورعونة الحكام تجاهه، إلا فإنه ينطوى على روح متسامحة، وعاشقة للحياة، وربما تصل إلى حد الطفولة، وهذا يبدو في قصيدته التي يقول فيها:

(أنا اللي قلبى عصفورة مكسورة الجناحين

والبين مخريشها..

الدنيا ملهية وقلوب الناس مطوية

بليل الهم..

والدم يجرى فى جسمى

كنه ما بيجرىش دم!

لكنها قامت وحامت فوق جبال المحبة)

وأيضا من يقرأ رسائله إلى عايذة ثابت، زوجته التي رحلت في حادث مأساوى، إثر عقرة كلب ضال في مطار القاهرة، سيكتشف هذا الطفل العاشق، الذي تحيطه جميع أشكال المهابة.. يقول في إحدى رسائله:

«زوجتى الحبيبة:

لقد تحملت مشاق حياتى هنا فى صبر تؤازرنى من ذلك ثقتى فى حبك، وأنا على استعداد لتحمل أضعاف هذا ما دمت أشعر أن قلبك قريب من قلبى، وأنفاسك قريبة من أنفاسى.. يا أجمل أغنية عرفتتها حياتى.. أنت شجاعة يا حبيبتى، ولكل ليل صباح فلا تياسى أبدا.

أبدا سأظل أحلم بك.. بالحصان الأبيض والزنابق البيضاء، حتى أضملك إلى صدرى ضمة لا فراق بعدها.. اقبلك وأضحك بقوة..

هذه الكلمات وغيرها، كان يكتبها أنيس، وهو بين أكف غليظة فى أوردي أبو زعبل، أو معتقل الواحات.. وكان يكتب الشعر والرسائل، يكتب لابنته «منى،

بنتنى يا للى انتى فى شوق لى

فى الليلة الطويلة

وأنت سهرانة وعليلة

لو بايدى كنت فوق

رأسك الحلوة الجميلة

افتكر لك فى الحكاية

أدب ونقد

اللى كنت تعشقيها
وابتديلك من البداية
وأنت تبقى ف النهاية.

هذا التسامح، وهذه الرقة، وتلك العذوبة، لم تنسحب على رسائله وقصائده فقط ، بل طبعته وهيمنت على حياته، وعلى علاقته برفاقه ، ومخالفه فى الراى، وهذا يتضح فى كتابه البديع ، ذكريات من حياتى، وبالأخص عندما يتحدث عن لقاءاته مع طه حسين، وصداقته مع إحسان عبد القدوس. وعندما يرثى شقيقه إبراهيم أنيس - العالم اللغوى الكبير - وعندما يتذكر أيضا شقيقه محمد أنيس - أستاذ التاريخ ، وعندما يوصى زوجته وحبيبته عايدة ثابت، وهو فى المعقل ، ويوصيها خيرا بعائلته وبابنتيه منى ووفاء..، والذى يقرأ مقاله عن طه حسين، سيكتشف أن العداء المتوهم بينه وبين طه حسين. لم يكن قائما كما كنا نظن. فيحكى أنيس عن احتفاء طه حسين به رغم اللقاء العاصف الذى حدث بينهما فى نادى القصة بعد معركتهما عندما كتب أنيس والعالم - مقالهما رداً عليه، ورد عليهما طه حسين بمقال شرس وساخر وهو، يونانى فلا يقرأ، وعندما دخل العقاد بمقال نشره فى أخبار اليوم نال من الاثنين بطريقة شنيعة، فردا عليه بمقال أكثر شراسة، عنوانه، «عبقريّة العقاد، غامزين ولا حزين له، لأنه كان يمدح الملك فاروق بقصائده، وعندما تقابل أنيس وطه حسين فى نادى القصة وفى حضور نجيب محفوظ ويوسف غراب ووداد سكاكينى وآخرين.. يحكى أنيس عن هذا اللقاء قائلاً: «وفى هذا الجو المحموم، وبعد صدور مثال «عبقريّة العقاد، بيومين، ذهبت إلى نادى القصة، ولم أكن أدري أننى فى طريقى إلى لقاء عاصف مع طه حسين! أحسست منذ أول وهلة وأنا أسلم عليه بأنه غاضب . ولم أكد أجلس على أحد مقاعد الغرفة حتى بادرنى قائلاً: «أنا زعلان منك .. كيف تسمح لقلبك أنت وصديقك أن يشتد فى الهجوم على الأستاذ العقاد إلى هذا الحد...» وقالت السيدة وداد سكاكينى: «البادى أظلم يا باشا...» وقال نجيب محفوظ جملة أو جملتين فى محاولة لتهدئة غضب طه حسين..»

ويستطرد أنيس فى وصف هذا اللقاء الذى لم يقتنع طه حسين بوجهة نظره ، وظلت العلاقة جامدة بينهما، رغم ما يكنه أنيس من تقدير عال وكبير لأستاذه طه حسين.

وفى كتابيه ، رسائل الحب والحزن والثورة، وذكريات من حياتى، يكشف عن هذا المعدن الأصيل للإنسان وللرجل الذى قاد مظاهرة فى لندن ضد العدوان الثلاثى، رغم تحذير السفارة المصرية له بالأى يفعل ذلك، وعاد فوراً من

أدب وفد



هناك، وكان قد فقد مقعده كمدرس في الجامعة ويعمل صحفياً في جريدة المساء، كمحرر للشئون العربية، ويترجم عددا من الدراسات والكتب، أهمها كتاب بنوك وياشاوات، ودافيدس لاندز... وينجز عددا كبيرا من المقالات واللقاءات والبحوث، لم تجمع في كتاب حتى الآن. ولم يعتن أحد بإعداد بيلوجرافيا تضمهما. أتمنى أن تقوم مؤسسة بعمل ذلك.

فبعد العظيم أنيس أحد أعمدة جيل الأربعينيات العظيم، هذا الجيل الذي قاد وعلم ورعى، ودخل المعتقلات، وظل واقفا حتى نهايات العمر.. ورغم ما نرى ونختلف.. فالخلافات لا تفسد تقديرنا ومحبتنا.. رحل العاشق والمعلم، رحل

أدب وفد الرفيق الذي كانوا لقبوه بـ سيد.. وهو سيد فعلا ■

رحيل أسر لحياة مد هشة

د. محجوب الحارث

(السودان)

والحجر كان رحيل المفكر الكبير محمود أمين العالم (الرفيق فريد) وفي ذات الأسبوع يلحق به توأمه وزميله في النضال الذي امتد لنصف قرن عالم الرياضيات الفذ أنيس وكأنها ضحكة أخرى من ضحكات القدر بعدما اغتالت الأيدي الأثمة رفاقهم في النضال فرج الله الحلو (لبنان) وعبد الخالق محجوب (السودان) وعبد الفتاح إسماعيل (اليمن) وآخرين من المفكرين والقادة الثوريين وكلهم من رموز الفكر التقدمي الشامل.. وإن جئنا إلى أرض الكنانة من بلادنا الحبيبة أرض السودان الحار الجاف مترامي الأطراف قبل حين فقد وقع علينا الحجر - أوقل يا قارئ العزيز - الخير مهولا لم نصدقه بل وحتى الآن لم نفق من الصدمة العنيفة برحيل الصديقين الكبيرين وفي زمان واحد كأن القدر لا يريد لزمانة فكرية امتدت وترعرعت بكل ما أدخر الزمان من الغصون لا يريد لها أن تتوقف.. عاشا توأمين في الكفاح والمنافى والتشريد والعذاب وتجلت في رحلة واحدة كل المعاني الظامئات إلى غد الطبقة العاملة المشرق وطموحات المستنيرين لمجتمع عربي معاف من استغلال الراسماليات الطفيلية ولحياة جديدة تحتضن الجياع والمهمشين، واللافت أن حياتهما تكاد تكون متطابقة

أي والله!!
شهقت غابة
مانجو
ناضجة،
وصاحت يا
رفيقي خض
أسراب
العصافير
حجرا!!
أدب وقد

ولعلها تشبه وإلى حد بعيد أن قلنا في عطائهما الفكرى المتنوع لمحة أو قل لقطة من لمحات أو لقطات السيزاما إذ تميزا بقدرات غير عادية على تناول بالسهل الممتنع كل اتجاهات رياح الفكر واختار في زمان واحد الانضمام إلى الطريق الصعب في بناء صرح الاشتراكية الوضاعة في كل أنحاء الوطن.. كانا أبناء مصر الحقيقيين ولكن بعروية متقدمة تحمل الفكر المستنير دفاعا عن الطبقة الكادحة والمثقفين الوطنيين ولقد كان من حظي أن التقيهما كلا على حدة وفي مناسبتين مختلفتين.

لقاء الرفيق سيد

أبان حرب السويس أو ما عرف بالعدوان الثلاثي بعدما أمم الزعيم العربى الكبير عبد الناصر قناة السويس فقامت الدولة الاستعمارية الثلاث (انجلترا ، فرنسا، إسرائيل) بشن حربهم على الشقيقة الكبرى مصر.. وكنا حينها (ديسمبر ١٩٥٦) طلابا في الصف الأول بجامعة الخرطوم حينما حل ضيفا علينا الدكتور أنيس بعدما قاد مظاهرة حاشدة في الطرف الاغر في لندن تنديدا بالعدوان الثلاثي.. وكان لقاءنا معه في دار اتحاد طلاب جامعة الخرطوم وكان في حديثه لنا وفي محاضرة تاريخية مدى جراته السياسية واقدامه.. فأنا مازلت املا خاطرى (وقد عبرت السنون أربعين عاما) بترديده (مصر محتارب .. شعبنا لا يستسلم .. سنهزم الغزاة الاستعماريين!) وقد دفع سيد في محاضراته مئات السودانيين للانخراط في التجنيد متطوعين للقتال مع شعبنا الحبيب في شمال الوادى..

لقاء الرفيق فريد

وبذات السياق كان لقائى مع الراحل الكبير محمود أمين العالم عبر شقيقى الراحل الرسام السودانى الماركسى جناح الحارث قد كان يحكى لنا كيف انهما كانا معاً يقومان بكتابة شعارات المقاومة في شوارع القاهرة المعز أيام العدوان الثلاثى ولقد تعرفنا على مقدراته الفكرية من أول يوم وقع في أبصارنا واستقر في بصيرتنا كتابهما مع رفيق حياته انيس (في الثقافة المصرية) وكيف انهما قدما منهج الواقعية الاشتراكية في الأدب والفنون بديلا تاريخيا لما سبقه من فكر رأسمالى لا ارادوى مثل ما كان يبشر به الوجوديون (سارتر وتلميذه ولعله إلى يومنا هذا انيس منصور) أو مبدا الفن للفن ليوسف السباعى واحسان عبد القدوس وغيرهما.. واللافت أننى كنت في القاهرة ابان احتفال التجمع بعيد ميلاده الخامس والثمانين

أد- وقد

واعتقد أن ذلك كان العام ٢٠٠٧ ولقد قدمت مساهمة فى الحفل بالتنويه عن أهمية الكفاح المشترك وأهمية الدور البارز الذى لعبه الفكر الكبير فى ترسيخ ودعم الفكر الاشتراكى ونشره.. وفى الحقيقة وبالرغم من تحولاته فى محاور الفكر من المادية الجدلية التى تمرد عليها ذات يوم حين وصفها بأنها رؤية مفروضة على التاريخ (فى مضمونها!) وليست رؤية مستمدة من دراسة موضوعية عينية للتاريخ وأن لا يفسح المجال ونحن نحمل تعازى القوى المستنيرة فى السودان إلى قوى التجمع المصرى وروافده فأنتنا نجد فى تحليله لما حدث فى الاتحاد السوفيتى والمنظومة الاشتراكية بأسرها من تفكك أثر ما عرف بإعادة الهيكلة (بريسترويكا) والمكاشفة (جلاسنوست) حلاً لأحد مسببات تلك الحالة (التفكك) التى أعطت المعسكر الرأسمالى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية زعامة العالم كمقطب أحادى .

.. فقد قال العالم إن الاشتراكية هناك (أى فى روسيا وغيرها من بلدان المعسكر الاشتراكى بولندا وبلغاريا وغيرها تحولت إلى نسق مطلق ومفروض بشكل علوى على كل فئات المجتمع مما أفضى إلى أن تتحول الماركسية - ذاتها - إلى نظرية غير تاريخية بيد أننى لا أشك إطلاقاً فى أن الراحل العظيم كان يدرك تماماً أن النظرية التاريخية ماركسية فى أصلها وفى جذورها.. وقد تناول مفكرنا الراحل مفاهيم وقضايا إشكاليات الوعى والوعى الزائف إلى جانب مقارنات نظرية وتطبيقية فى قضايا الثورة والثقافة (عالمية أو مصرية أو عربية.. إلخ) ولم تغب عنه طوال مشاويره بوصلة الماركسية هادياً ومرشداً ولقد أهدانى بخط يديه كتابه «مواقف من التراث» وهو إحدى مساهماته التى أثرت فى بناء صرح الاشتراكية العالى لمصر ولكل العرب..

وإذ نحن نودعه إلى مثواه الأخير جنباً إلى جنب مع رفيق دربه الدكتور / أنيس فماذا من الممكن قوله عن من ساعد فى فتح عقولنا وقلوبنا ووجداننا.. انهما فى مقام والدى والذى حين رحل عن هذه الفانية قلت فى وداعه وفى حضرة من جاءوا للعزاء:

ماذا أقول عن أبى وهو لم يمت من قبل؟

فإذن ماذا نقول عنهما وهما رواد الحركة الماركسية فى الوطن العربى.. ماذا نقول عنهما وأخيراً.. لا نملك إلا وأن نحنى هاماتنا اجلالاً وتقديراً لكما يا رفاق الدرب الطويل، وسنقول لمن يسألنا من أنتم؟ سنقول لهم. لقد عشنا ونما وعينا وفكرنا فى عصر العالم وأنيس ولقد عشنا عصراً قد لا يتكرر.. عصر الشرقاوى والخميسى وعبد الخالق محجوب وعلى الراعى و.. و.. وهم أكثر.. وماذا يمكن أن نقول لهذا الزمان الكنود فقد كان يوم رحيلهما - مثل يوم مات أبى - يوماً

أدب وفد



رماديا اجرد ولقد كنا نغنى معا للحرية والاشتراكية اللتين تولدان الفرحة للناس..
 فماذا نقول للموت وفيه رقاد طويل مقفرو عتمة وكآبة ولا صوت.. وما أعمق هذا
 الاحساس!.. وداعاً لكما معا يا من كنتمما ينبوعا لكل ما هو رائع وما تركتماه من أثر
 يكفل لكما حياة ثانية .. ولقد احسست وأنا أكتب ما كتبت اليوم برحمة وطمأنينة ..
 ويسلام.. بل ومازلت أملا خاطري في كفيكما اللتينى هزتا يدي - بعد الموعد - كانتا
 تسيلان من التفاؤل والأمل .. فطوال مشوار حياتهما المشتركة تميزان بروح شفيضة
 وسريرة نقية ولم يتهادنا قط مع النظم القمعية والاستبدادية إذ كانا دائمي الحضور
 في ساحة النضال الشعبى وفى نبض الجماهير .. وداعاً يا رفاق الحياة!

وليرحمكما الله!

كم طال دوحك

من قزم يطاوله

فما قصرت

ولم يكبر .. ولم يطل!

أدب - وقد

المحمود والأمين والعالم

حامد الحلبي

(دمشق)

مساء يوم الجمعة ٢٠٠٩/١/٩ ، عندما اتصلت به من دمشق
للأطمئنان عن صحته ، ولم أكن أعلم انها ستكون مكالمتي الأخيرة معه،
ولعلها كانت الأخيرة في حياته أيضاً !! حيث توفي في صباح يوم السبت
في الساعة السابعة صباحاً ، بعد حوالي عشر ساعات على تلك المكالمة ...
التي - للأسف الشديد ودون أن أدري - كانت مكالمته الوداعية . أهى
المصادفة العجيبة !! وهنا أتذكر حديثه الممتع والعميق حول (فلسفة
المصادفة) الذي سمعته منه في القاهرة- ونحن نتحدث في جلسة طويلة
ممتعة في كافيتريا "المجلس الأعلى للثقافة" - قبل سنوات عديدة، وكان
حديثه من أعمق ما عرفته عن هذه الفلسفة ... فيا استاذنا الفقيه
(العالم) هل لك ان تشرح لى الآن هذه (المصادفة) !! وأنت الذي لم تكن
تخطر على بالك اطلاقاً تلك (المصادفة) .. وكنت مقبلاً على الحياة
ومتفائلاً- كمعادتلك - .. ولا أنسى كلماتك عند سؤالى عن صحتك ، اذ
قلت " لا ... أنا أقدم وأقرأ الصحف وبعض الكتب ، وبدأت أتحرك وأشاغب
" !!

لم يزل في
سمعى صوته
المتدفق حيوية
ونشاطاً عبر
الهاتف

فيا استاذنا الكبير ... لطالما كنت تردد قولك المشهور (شاغبوا
تصحوا) !! .. تلك المشغبة التي تفضح الخطأ، وتثور على الظلم، وتحمل

أدب - وقد

متشعل الحرية ، والحب العميق للوطن والناس ، ومستقبلهم المشرق .. كم نحن بحاجة الى هؤلاء (المشاغين) ...

لقد عرفت محمود أمين العالم من خلال كتاباته فى الصحف والمجلات ، وخاصة (المصرية) ، التى كانت تصل الى دمشق فى أواسط الستينات وأوائل السبعينيات من القرن الماضى ، عندما بدأنا - فى بداية شبابتنا - نتمسك طريقنا الى حمل الهم الوطنى والقومى العام ، ونسعى للتقدم والعدالة الاجتماعية ... وبعد ذلك بسنوات قرأت كتابه (الانسان موقف) وكان له تأثير كبير على بلورة أفكارى ، وفى التركيز على ما هو جوهرى وأساسى من الأمور ، بعد ان أصبت بهزة مزلزلة بسبب هزيمة عام ١٩٦٧ .. وبقينا بعد ذلك نتابع انتاجه الفكرى ومواقفه النضالية الصلبة ، وخاصة كتاباته فى مجلة (اليسار العربى) وغيرها من الدوريات ..

وكم كانت سعادتى كبيرة أن التقيته فى القاهرة قبل أكثر من عشر سنوات ، وذهبت لأحضر أمسية شعرية فى دار الأوبرا المصرية (المسرح الصغير) . وقبل موعد الأمسية ، رأيته وسلمت عليه وعرفته بنفسى ، وذكرت له متابعتى لانتاجه وكتاباته ، وما قرأت منها ، وتأثرى الكبير بما كتب ، فرحب بى كثيراً ، ودخلنا سوية الى الأمسية ، وأصر على أن أجلس معه فى الصف الأول من المقاعد المخصص لكبار الكتاب والأدباء و المدعوين ، فاعتذرت .. وبعد اصرار منى تركنى أجلس وراءه فى الصف الثانى ... وبعد الأمسية ، تابعنا حديثنا وأصر ان نتواصل دائماً ..

بقيت بعدها -حتى خريف ٢٠٠٦- أذهب كل عام الى القاهرة ، فى عمل يتعلق بالبرامج التعليمية والثقافية فى التلفزيون . وكنت حريصاً فى كل مرة ان اتصل به ونتواعد على اللقاء ، وكم كان كريماً فى اعطائى الساعات الثمينة من وقته ، وحديثه ، وفكره العميق المبدع ، وديمقراطيته فى الحوار ، وتقبله للرأى الآخر .

لا يغيب عن البال تواضعه العظيم والتلقائى ، تواضع الفكر الكبير ذى الأحساس الديمقراطية الانسانى العميق ، ولا أنسى جوابه المتكرر -عندما كنت أقول له : انى تعلمت كثيراً من كتاباتك ، والأكثر ، من لقاءاتك وسيرة حياتك ، فكان يجيب : (أنا أعلم من الشباب دائماً) .

عندما علم اننى من الجولان المحتل ، وأهلى ما زالوا هناك مع بقية المواطنين العرب السوريين الصامدين فيه ، يقاومون الاحتلال بكل امكانياتهم ، كان يستزيدنى فى أن أحدثه بالتفصيل عن الجولان وبقية الأراضى العربية المحتلة . وكم

أدب ونقد كان صادقاً وكبيراً فى حمله هم التحرر ، وبناء القوة العربية العصرية ،

القادرة على حماية الأوطان بالديمقراطية ، والعلم ، والنظرة المستقبلية التقدمية .

ومن الأشياء المميزة فيه تفاؤله الكبير ، وإيمانه الثابت بقدرة الناس على التغيير ، وروحه المرحية - رغم كل الظروف القاسية التي مر بها - ... وعقله المنفتح الذي يتعلم ويستفيد ولو حتى من أبسط الناس .. ولا أنسى حادثة ذات معنى رواها لى .. هي أنه عندما كان فى السجن ، وكانوا يأخذونهم للعمل فى تكسير الأحجار وجعلها على شكل قطع صغيرة (زلط) ، فكان يضرب قطعة من الزلط بالمطرقة ليكسرها فلم تنكسر معه - لأن لا خبرة له فى هذا المجال - فجاء الحارس الذى كان يراقبه - وهو متعاطف معه - وأخذ المطرقة وضرب الحجر من زاوية ثانية .. فكسره ... وقال له (يا أستاذ : كل حاجة وليها عشر أبواب) ... وهنا قال : لقد تعلمت هذه الحكمة من ذلك الحارس .. (بصرف النظر عن الظرف الكارثى ، والصورة الفاجعة للتعامل مع المفكرين، بسجنهم واجبارهم على الأشغال الشاقة ضميراً ووجداناً ، قبل أن تكون شاقة عضلياً ..)

— ولا أنسى أبداً ، العمق الحضارى الهائل فى حديثه وشخصيته، فقد سألنى مرة : (عملت ايه امبارح) فقلت له : زرت منطقة الاهرامات ، وأمضيت معظم النهار هناك ، ورغم اننى زرتها مرات عديدة، ففى كل مرة أجد فيها متعة جديدة ... فقال : وأنا أيضاً أجد متعة كبيرة كلما زرتها رغم اننى (طول عمري بازورها ، ولو قلت لى كنت رحت معاك) ... أى سعادة ان يكون صديقك شخص بهذا العمق الانسانى .

... يطول الحديث عن هذه الشخصية الانسانية الكبيرة ، وهنالك الكثير ممن كتبوا بشكل واف - عنه عند وفاته وفى حياته .. ولا سيما العدد المميز والهام من مجلة (أدب ونقد) الصادر فى ابريل ٢٠٠٧ ، والذي ضم محورا شاملاً ممتازاً عن (محمود أمين العالم : الفتى فى الخامسة والثمانين) ... ولكنى هنا أقدم إطلالة شخصيته على محيط واسع .

ما زالت كلماته الأخيرة فى أذنى وقلبى عندما سألنى : ماذا تعمل هذه الأيام ؟ فأجبت أنه اننى اشتغل على بعض الأبحاث والترجمات ، فقال " أرسل لى ما تنتجه فإنه يسعدنى أن أقرأ إنتاجك .. وأن تزورنى فى البيت اذا جئت الى القاهرة . " فقلت له : يشرفنى ذلك وسأزورك بالتأكيد ...

والان كم هى غصة كبيرة أنك /أيها الكبير/ لم تعد قادراً أن تقرأ لى أو أن أزورك ... لكن العزاء اننى سأبقى أزورك فى كتاباتك وتراثك الغنى الباقي أبداً .

ومن بعض العزاء الشخصى أيضاً ، ما قالت لى ممرضته

السيدة (منار) على الهاتف ، عندما اتصلتُ معزياً بعد أن علمتُ بالوفاة ،

أدب وفد



قالت: (انه كان سعيداً جداً بمكالمتك الأخيرة له ،وكان يكلمنى عنها وعنك وهو مبسوط)
 وأنا مرتاح فعلا اننى ادخلت بعض السرور اليه فى ساعاته الأخيرة
 إن بعض الحزن يأتى كالمطر العاصف ، يضرب بسرعة ويذهب بسرعة .. وبعضه
 كالمطر الهادئ المستمر ، يهطل على الأرض ، وتتشربه ببطء ، لكن بعمق .. ويغذى التربة
 وينتج نباتاً وثماراً يانعا ، وهذا هو حزننا على مناضل ومبدع كبير من حجم (محمود أمين
 العالم)، كان فى مقدمة من أناروا العقول ، ورفعوا قيمة الانسان، فى مصر والبلاد العربية
 كلها ، وهو من الشخصيات التى ساهمت فى جعل العالم كله اكثر جمالاً

أدب وفد ، ولهذا سيبقى... شعلة لا تنطفئ ■

القاهرة ١٩٦٦

هاني الحوراني (الأردن)

الذي أعاد تلك الرحلة إلى الذاكرة، هو وفاة محمود أمين العالم،
المفكر المصري اليساري المعروف، الذي غادرنا في كانون الثاني/ يناير
القائت.

تذكرت تلك الرحلة والاجازة الحافلة، لأنني كنت أجريت حوارات
صحفية مع محمود أمين العالم، ونجيب محفوظ ومجموعة أخرى
من الرموز الأدبية والفنية المصرية. وهي حوارات لم يطلبها مني أحد،
لكنها كانت محاولة مني لإثبات الذات، و"للتباهي" على الأرجح،
بمقابلة هذه الأسماء الكبيرة خاصة وأنني كنت في بداية محاولاتي
الكتابية في الصحافة الأردنية والعربية. كانت زيارتي هذه لمقاهرة
الزيارة الأولى لها، في زمن كنا نؤمن بحق أن مصر هي "أم الدنيا"،
وكانت هي تتصرف حينها باعتبارها "أم الدنيا" فعلاً، ولم تكن قد
شهدنا بعد الانكسار العظيم الذي رافق هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧،
وزعزع إيماننا بالنظام الناصري، وشكل بداية الانحسار للناصرية
والقومية كفكر سياسي مهيم على الساحة العربية.

خلال تلك الاجازة القصيرة، لكن المفصلة، أجريت أولى المقابلات مع
الأديب الكبير نجيب محفوظ، حيث تركزت أسئلتي على آخر رواياته

في مثل هذه
الأيام، من
مطلع عام
١٩٦٦، قضيت
في القاهرة
اجازة منتصف
العام الدراسي
الأول وأنا على
مقاعد كلية
العلوم
السياسية
والإدارية في
الجامعة
الأردنية.

أدب ونقد

التي كانت قد صدرت في عام ١٩٦٥، وأثارت نقاشاً حاداً حولها، أعنى بها رواية "ثرثرة فوق النيل"، التي أرهصت بأزمة مصر السياسية والفكرية، ثم جاءت هزيمة حزيران ١٩٦٧ لتقيم البرهان عليها بصورة مفعجة. وما أذكره حينها، أننى قمت بسلسلة من المناورات للحصول على رقم الهاتف المباشر للأديب نجيب محفوظ، لكننى وقعت على رقم هاتف الدكتور (الطبيب) نجيب محفوظ قبل أن أصل إلى رقم منزل نجيب محفوظ الروائى. وحين تحدثت إليه، ادّعت أنى أمثل جريدة "الحرية" الأسبوعية اللبنانية، التي كانت تنطق باسم حركة القوميين العرب، وهكذا حصلت على موعد لإجراء المقابلة معه.

فى تلك المقابلة اصطحبت معى أخى، الذى كان يدرس فى القاهرة، حيث تقمص دور المصور الصحفي. وعندما صعدت بالمصعد إلى مكتبه فى برج التلفزيون، تلقيت كناصرى شاب قادم من الأردن، أول صدمة سياسية حين تقدم منى "مخبر" قبل أن أطرق باب الأديب الكبير، وأخذ يسألنى عن هويتى والصحيفة التى أمثلها ولماذا أريد أن أقابل نجيب محفوظ. ولم يخطر ببالى، حينها، أن رجلاً بقامة محفوظ الأدبية، يجرى التحرى عن يزوره وأسباب الزيارة. وبعد أن دلفت إلى مكتب الأديب الكبير كان أول أسئلته: كيف حصلت على رقم هاتف المنزل؟ ومن العجيب أنه لم يسألنى عن عمري، فقد شرع فى الإجابة على أسئلتي باقتضاب، وعندما انتهينا التقط أخى صوراً لنجيب محفوظ ولى فى وضعية "الحوار الجاد" لا، بل طلبت إلى الأديب الكبير تقليب مجلة "الحرية" التى كانت تصدر حينها بحجم "التابلويد"، متظاهراً بقراءتها، وقد تجاوب مع طلبى مما أتاح لنا أخذ المزيد من الصور. ولست بحاجة إلى الإشارة إلى أن نجيب محفوظ لم يكن يعرف عن هذه المجلة من قبل، وأن تلك المناسبة ربما كانت الوحيدة التى تصفح فيها نجيب محفوظ "الحرية" الأسبوعية اللبنانية.

كان موعدى الثانى مع المفكر محمود أمين العالم فى مقهى "جروبي" الشهير على أحد نواصى ميدان طلعت حرب فى وسط القاهرة، لكننى حين دخلت إليه لم يكن العالم قد وصل بعد، وأثناء انتظارى له وجدت رجلاً نوبياً طويلاً القامة، يواصل التحديق بى بفضول، وافترضت أنه "مخبر"، يرصد حركة المترددين على المقهى، فبادلت نظرتة الفضولية بنظرات تقدح شرراً وجفاء. لكنه لم يلبث أن تقدم نحوى بتهذيب بالغ ليعرفتنى بنفسه، وللمفاجأة فقد تبين أنه محمد خليل قاسم، كاتب رواية "الشمندورة"، وهى أول رواية نوبية تصدر فى مصر، وكانت تنشر على حلقات فى اسبوعية "صباح الخير" الصادرة عن دار روز اليوسف. وقد

أدب - وقد

أوفده محمود أمين العالم ليكون بانتظارى فى المقهى ريثما ينهى عملاً طارئاً حال دون وصوله فى الموعد.

ليتنى كنت أعلم أن محمد خليل قاسم الذى احتفت مجلة "صباح الخير" حينها بروايته "الشمندورة" ونشرتها على حلقات، وقد زينت حلقاتها برسوم أهم فنانيها، لن تطول به الحياة، إذ توفى فى أيار/ مايو ١٩٦٨، أى بعد ذلك اللقاء العابر معه فى مقهى "جروبي" بعامين ونيف، عن عمر لا يتعدى الخامسة والأربعين بكثير!

وكيف لى أن أعلم، وأنا أحج محمد خليل قاسم بنظرات عدائية، ظناً منى أنه مخبر، فى لقائى العابر معه فى مقهى "جروبي" أنه، مثل محمود أمين العالم، عاش مناضلاً متعلقاً بمثله ومبادئه، فقد انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين فى أواسط الأربعينات لكنه غادرها سريعاً إلى نقيضها، أى الحركة الشيوعية المصرية، لينتهى عام ١٩٤٦ إلى السجن. وخلال تواجده فى المعتقلات السياسية، التى ما ان يغادرها حتى يعود إليها، لم يكتف بمحو أمية المساجين وإنما أمية السجانيين أيضاً، ولقد ظل هكذا حتى الإفراج عنه آخر مرة عام ١٩٦٣.

استسمح القارئ بأن أضيف بضع سطور عن محمد خليل قاسم الذى عرفته فعلاً بعد وفاته، ولقائى العابر معه.

فقد روى محمد خليل قاسم فى "الشمندورة" قصة قريته "قته"، من أراضى النوبة التى أغرقتها تعلية سد أسوان الثانية عام ١٩٣٣، وتذكرنا "الشمندورة" بأعمال الفنان العراقى نورى الراوى، الذى ظل "يروى" بالألوان قصة بلدته "راوة" فى شمال العراق التى غمرتها مياه الفرات، بعد بناء سد عليه، وتحولت بعدها إلى أسطورة تعيش فى ذاكرة الفنان ووجدانه، يتخيل مبانيها وأشجارها وهى تحت الماء، مجسداً هذه الصورة الخيالية فى الكثير من لوحاته.

كتب محمد خليل قاسم رواية "الشمندورة" سرّاً فى معتقل الواحات، ويقلم "كوبياً" على ورق بدائى الصنع، قبل أن تنشر وتوضع فى مقام أهم الأعمال الروائية المصرية، ولتقارن مع رواية "الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوى. وفضلاً عن أعماله الأدبية فقد لعب قاسم دوره فى اكتشاف ورعاية جيل من الأدباء والفنانين الثوبيين.

وبالعودة إلى محمود أمين العالم الذى دخل مقهى جروبي بعد انتظار قليل منى، ليفاجأ بأن القادم من الأردن لم يكن رفيقاً مخضرمًا من الحزب الشيوعى الأردنى كما توقع، ولم يكن يحمل فى جعبته رسالة سرية "توصى بحاملها"، أو

تنقل إليه أخبار الحزب الشقيق، أو تحيات قاداته. فقد وجد فتى يافعاً،

أدب وفد

ضئيل الحجم، يصارحه بأنه قومي ناصري، بدأ للتو بالتعرف على الماركسية عن طريق الكتب المهرية، والمجلات اليسارية التي بدأت الرقابة على المطبوعات تسمح بدخولها في فترات الانفراج القصيرة التي عرفها الأردن في الستينات.

ومع الوقت، بدأ العالم بابتسامته الدائمة وسعة أفقه يستوعب أن موعده المهم مع الزائر الأردني ليس إلا لقاء صحفياً مع شاب معجب بكتاباته العميقة عن أعمال نجيب محفوظ الروائية المنشورة في مجلة "الكاتب" الشهرية اليسارية، أو مقالاته الأسبوعية التي باشر بنشرها في مجلة "المصور"، بعيد خروجه من المعتقلات السياسية، وكان آخر مراحلها ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٤.

سَلَّمَت محمود أمين العالم حفنة من الأسئلة، لأعود بعد أيام لألتقي به في مدخل أحد مسارح القاهرة، وقد أجاب على أسئلتى باستفاضة أسعدتني، أولاً، لأنها أشعرتني بجدية تعامله مع محاولاتي الصحفية المبكرة، التي لا ريب عندي أنها لم تخل من سذاجة، وثانياً، لأنه زودني "بصيد ثمين" كثير الصفحات، لا بد أن يثير اهتمام الناشر والقارئ بغنى محتواه.

لم أعد أذكر ماذا سألت محمود أمين العالم وماذا أجابني. لكني لن أنسى أبداً سخاءه وجديته في تعامله مع أسئلتى ... ولليوم أشعر بالامتنان لدمائته واستجابته بالرد المستفيض على تلك الأسئلة. وكان على أن انتظر نحو ثلاثين عاماً لاحقة لأزور القاهرة للمرة الثانية، ولأراه مجدداً بين الحين والآخر خلال مؤتمرات ومناسبات مختلفة منذ عام ١٩٩٦.

ليس من السهل اختزال مسيرة محمود أمين العالم ومنجزاته في مجال الثقافة والفكر، والتي استهلها بكتابه الشهير "في الثقافة الوطنية، الذي ألفه مع صديق عمره د. عبد العظيم أنيس. فهي من الغنى والتنوع بما يحول دون تسجيلها في عجالة كهذه. ولعلني أتفق مع د. فيصل دراج حين قال أن أعظم أعماله هي حياته ذاتها، بكل ما حفلت به من تجارب وأدوار. ولعلني أضيف أن روحه المتفائلة وانفتاحه كانت أبرز سماته الشخصية. وربما يفسر ذلك أن نجد المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، مهدي عاكف، في مقدمة المشيعين لجثمان الماركسي والشيوعي محمود أمين العالم.

لم أكتف في اجازاتي القصيرة في القاهرة بمقابلة نجيب محفوظ ومحمود أمين العالم، ولا بد أن طموحي الجامح لم تعد تحده حدود، وهكذا توجهت إلى دار روز اليوسف، حيث سميت لمقابلة الشاعر صلاح عبد الصبور لأكتشف أنه في رحلة أدبية إلى الهند. وهكذا تحولت إلى الشاعر عبد المعطي

أدب ووقت

حجازى الذى كان يليه فى النجومية. لكنه كان أقل صبراً معى، وهكذا لم يتردد فى إعادة أسئلتى إلى، باعتبارها محاولات ساذجة لفهم الشعر الحديث، ناصحاً إياى أن أقرأ أكثر قبل أن أعود إليه!

لكن هذا لم يمنعنى من المحاولة مع رسام الكاريكاتير المعروف جورج البهجورى الذى اشتهر بخطوطه الحرة والمختزلة فى الرسم الكاريكاتورى، ونجحت فى إجراء حديث معه. ولم يلبث أن غادر البهجورى مصر وهجر الرسم الكاريكاتورى ليعيش كفنّان تشكيلي فى باريس فى حياة بوهيمية امتدت به لسنوات طويلة قبل أن يعود ثانية للقاهرة. وفى الوقت نفسه أجريت مقابلة مع د. مصطفى محمود، الطبيب الذى تحول نحو الصحافة والتأليف، وكان يعمل فى دار روز اليوسف، لكن هذا الكاتب الذى بدأ يسارياً يجاهر بعلمانيته ويتحدى المعتقدات الدينية الراسخة شهد، منذ أواسط الستينات، تحولاً مفاجئاً قاده إلى التحول إلى "داعية إسلامية" ذائع الصيت، وإلى وجه تلفزيون شهير بنى معه ثروة طائلة.

بالتوازي مع هذه المقابلات اغتنمت فرصة تلك الاجازة القصيرة لمشاهدة أبرز إبداعات المسرح المصرى حينذاك، فشاهدت أعمالاً ليوسف إدريس ونعمان عاشور، وحتى لعميد المسرح المصرى، يوسف "بيه" وهبى الذى كان يعرض مقتطفات من مسرحياته المختلفة فى أحد مسارح الاسكندرية، بل إنى شاهدت عملاً مسرحياً لأحمد سعيد مدير إذاعة "صوت العرب"، صوت الناصرية المجلجل، الذى كان يتوعد اسرائيل والرجعية العربية "بالثبور وعظائم الأمور"، قبل أن يأفل نجمه، مباشرة بعيد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

كان يفترض أن أنشر المقابلات التى أجريتها مع نجيب محفوظ ومحمود أمين العالم وجورج البهجورى ومصطفى محمود فى صحيفة "الحرية" الأسبوعية التى كانت تمثل حركة القوميين العرب، وتصدر فى بيروت. لكنى ما أن عدت من هذه الاجازة الحافلة حتى فوجئت بوقوع حملة ملاحقات شاملة للأحزاب السياسية العاملة تحت الأرض (وكنت منتسباً لواحد منها) تزامنت مع الاجازة القصيرة التى قضيتها فى القاهرة. وقد شغلنى ذلك عن مهمة تحرير المقابلات وإعدادها للنشر.

وعلى اثر الاعتداءات الاسرائيلية على قرية السموع التى وقعت فى نفس العام، وجدت نفسى ملاحقاً بعد تنظيم مظاهرات احتجاجية فى الجامعة الأردنية. ومع ذلك فقد بدأت بإعداد المقابلات للنشر، وأذكر أنى أرسلت مقابلتى مع نجيب

محفوظ إلى الشاعر عبد الرحيم عمر الذى كان يرأس تحرير مجلة **آدب ونقد**



"أفكار" حينذاك. وكادت المقابلة تنشر، بعد أن وافق عليها، لكنه لم يلبث أن اعتقل مع العديدين الذين شملتهم حملة الاعتقالات الثانية لعام ١٩٦٦. وهكذا انتظرت حُصيلة مقابلاتي مع نجيب محفوظ ومحمود أمين العالم والآخرين إلى ما بعد حرب ١٩٦٧، وبدلاً من نشرها في "الحرية" الأسبوعية، قمت بإرسالها إلى الأديب المعروف غسان كنفاني الذي قام بنشرها تبعاً في الملحق الأسبوعي لجريدة "الأنوار"

وهو ملحق حافل بالمقالات السياسية والفكرية والثقافية، كان يرأس

تحريره حينذاك ■

الفيلسوف مناضلاً

سمير كرم

والحزن على فراق الأستاذ، محمود أمين العالم يخرجنى عن عادة
الابتعاد عن القطيعة.

فأنا أقطع بلا تردد بأن العقل المصرى.. والعقل العربى كدائرة أوسع
وأعمق له سيكون بفقدان محمود أمين العالم أقل مما كان بوجوده.
نعم ان أفكاره موجودة وستبقى فينا ومعنا كل باتجاهه وكل حسب
منهج رؤيته للأمور.. ولكن، العالم، لن يعود يعطينا من الزاد الفكرى
الذى اعتاد أن يزودنا به عند كل منعطف جديد.

وكم كان زاده متنوعاً وعميقاً.. نعم ألم يكن زاده للفكر المصرى والعربى
فلسفياً فى الأساس؟ نعم.. ولكن الفلسفة اتسعت فى عقل العالم
للاجتماع والنقد الاجتماعى والنقد الأدبى.. للتراث والحداثة
والمعاصرة، وللأبعاد العربية والإسلامية فى هذا التراث، كما للأبعاد
الماركسية فى ادراكاتنا وبالتالي فى معرفتنا.

ليس بيننا مثل محمود أمين العالم، من استوعب الفلسفة الماركسية.
أولى أن أقول الفكر الماركسى، منهجاً وموقفاً فكرياً.. وفى الوقت نفسه
نضالاً بكل ما تعنيه كلمة نضال من أعباء وآلام.

وحده كان قادراً على استيعاب الفلسفة الماركسية والمنهج الجدلى.

الحزن أقدر
من غيره من
المشاعر
الإنسانية
على أن
يخرجنا عن
عاداتنا
الذهنية
الفكرية.

أدب ونقد

وفى الوقت نفسه تحمل تبعات النضال. الذى يتجاوز الدائرة الفكرية المجردة إلى العمل السياسى بوعورته وقسوته وصراعاته الحادة والمميتة. لا أستطيع أن أستعيد إلى ذهنى مفكراً ماركسياً عربياً أو عالمياً جمع إلى عمق الإلمام بالفلسفة الماركسية مسئولية النضال من أجل الاشتراكية كما فعل العالم فى حياة خصبة وثرية بالعطاء الفكرى والنضالى معاً. هذا فوق طاقة البشر غالباً. حتى إننا تذكرنا أسماء مثل لوركاس أو كودويل أو نيرودا نتذكر فى اللحظة نفسها أن استيعابهم للفلسفة الماركسية كان أقرب إلى التخصص فى الموهبة، الأول والثالث فى الشعر والثانى فى الاجتماع.. وجميعهم رحلوا فى ظروف زمنها النضالى.. لكن أحداً منهم لم يكن يملك قدرته باستيعاب عمق الفلسفة الماركسية بشموليتها مع صدام وصدّات النضال من أجل الاشتراكية من أجل الطبقة العاملة التى لم تغب أبداً عن ذهنه فيلسوفاً، وفى بداياته الأولى شاعراً صاحب ديوان قد لا يعرفه كثيرون ممن يعرفون العالم عن قرب.

لم يخلق هذا التفرد بالعمق والاستيعاب فى المفكر محمود العالم ذلك النوع من المفارقة مع الناس لم يستغل أبداً وكان لديه كل ما يبرر الاستعلاء. ظل فيلسوفاً ومتاضلاً على درجة من دماثة الخلق هى مضرب الأمثال فى كل سنوات حياته.. وستبقى كذلك لأجيال. أسموه بمسيح الحركة الشيوعية المصرية للدلالة على تواضعه شبه الدينى وهو الشيوعى المناضل المنظم الذى ذاق عذاب الاعتقال. ولم يستغل حينما لجأت إليه السلطة التى أودعته المعتقل لسنوات ليكون رئيساً لإحدى أكبر مؤسساتها الإعلامية.

بل انه لم يستغل حينما اختار أن يصدر فصيلته تتيح للفكر التقدمى أن يطرح قضايا ويشرح منهجه كانت قضايا فكرية، نتيجة جهود محمود العالم الفكرية والمهنية. لم يكن فقط كاتبها الأول والأساسى.. إنما حمل من أجل إصدارها ومواصلتها عبء وعناء تحديد المحاور والموضوعات وتحديد الكتاب، بل تحمل عبء وعناء الاتصال بهم أينما كانوا فى مصر أو فى بلدان الوطن العربى.. أو أبعد من ذلك حتى فى أمريكا.

لم اسمع محمود أمين العالم - وكان بالنسبة لى أستاذى وأستاذاً لأساتذتى السابقين واللاحقين - يقول «أنا»، كأن هذه الكلمة لا وجود لها فى اللغة. حتى فى الأحاديث والمقابلات. التى لا يمكن حصرها. التى أجريت معه على اتساع نطاق الصحافة

الثقافية العربية، لم يكن يلجأ إلى هذه الكلمة الذاتية وكأنه درّب نفسه على الابتعاد منها، أو كأن غيابها جزء طبيعى من تكوينه

أدب وفن



الوجداني والفكري.. حتى في مواقع القيادة التنظيمية الشيوعية كان مغايراً للقياديين الآخرين في قيادته للعمل التنظيمي، كان النضال السياسي والاجتماعي بالنسبة إليه فعل بساطة وفي الوقت نفسه فعل التزام وفهم وعطاء.

كان محمود العالم الماركسي بعمق وفهم والتزام سقراطياً في طريقة قيادته.. علمنا كانه يتعلم منا وجهنا وكأنا نحن الموجهين، ومثل سقراط لم يكن يحب السفسطة، لكنه لم يواجهها أبداً باللعنات، لم يكن يصدر أحكاماً.. لأنه كان يملك قدرة على الاقناع ربما هي المصدر الحقيقي لأستاذيته. وكانت أستاذيته متميزة بشكل خاص لأنها لم تتأطر بلقب «دكتور» أو «البدال السحرية» التي تسبق أسماء أناس كثيرين في دنيانا تعلوهم معرفة العالم الفلسفية والسياسية والاجتماعية، والثقافية عامة.

الآن يتعين علينا أن نحتمل ادراكنا لحقيقة أن العقل العربي ناقص محمود أمين العالم أقل كثيراً في امكانياته وفي استشراف مستقبله.

وهذا وضع لا ينبئ بإمكان تجاوزه والتعويض عنه إلا نشر أفكار

العالم على أوسع نطاق.. بالكامل ودون أي حذف أو ابتسار ■

أدب ونقد

المتهم - رد

د. عاصم الدسوقي

وقد عرفت جانبا منها فى اكسفورد عندما التقينا فى صيف ١٩٧٤، تذكرت ما قاله أديبنا توفيق الحكيم فى شرحه لمعنى اليمين واليسار فى كلمات بسيطة من أن الأصل فى الإنسان أنه يمينى، وفى اللحظة التى يتمرد فيها على واقع حياته وظروفها يصبح يساريا، أى ينتقل من حافة اليمين إلى اليسار. والمعنى أن الإنسان فى طفولته وصباه يعيش تحت سلطة الأسرة يأتمر بأوامرها فى النهى عن أشياء والسماح بأشياء دون أن يكون له رأى فيما يأخذ به وفيما يمتنع عنه. ولكن عندما ينضج تفكيره خارج البيت مع رفاق المدرسة وصحبة الشارع، وتتسع آفاق معرفته من تجارب الشعوب الأخرى، يبدأ فى عقد المقارنات بين هنا وهناك، ويبدى كثيرا من الرفض لما هو قائم ويطالب بالتغيير، يصبح فى نظر الذين يعرفونه متمردا أبقا لعب الشيطان برأسه.

هكذا نشأ محمود العالم فى مناخ دينى فى أحضان القاهرة الفاطمية، فوالده شيخ أزهرى وأخواه يتعلمان فى الأزهر شأن غالبية المسلمين منذ كان الأزهر جامعا ومدرسة. ولكن يبدو أن التمرد فى أسرة العالم خاصية مشتركة .. فأخوه شوقى يفصل من الأزهر لأنه

عندما تابعت
حياة محمود
أمين العالم
منذ نشأته
وحتى
انخراطه فى
صفوف
الشيوعيين،

أدب ونقد

أصدر كتاباً أسماه "الأزهر فوق المشرحة" انتقد فيه أسلوب التعليم والدراسة بالأزهر دون أن يتعظ من تجربة الإمام محمد عبده الذى فصل من الأزهر جراء إقدامه على مثل هذا النقد. وأخوة الآخر الضرير لا يستسلم لواقعه ويتعلم بطريقة برايل فيقرأ له محمود أدبيات اللغة والنحو والفقه وأصول الدين والفلسفة. ولكن اللافت للنظر أن محمود العالم لا يلتفت من كل تلك الأدبيات التى قرأها إلا إلى التصوف. ولكن بدلاً من التصوف "المعتدل" الذى يذوب فيه المتصوف فى نور الله وتصبح له إشراقاته، نجده ينجذب إلى تصوف الحلاج، ذلك المتمرد على الطقوس الشكلية فى الدين "والذى لا يؤمن بقوة مفارقة..".

وفى تلك الأثناء قرأ نيتشه ووجد فيه التقاء روحياً مع الحلاج.. فالحلاج يقول بالإنسان الكامل، ونيتشه يقول بالإنسان الأعلى، أى لا توجد قوى مفارقة تفرض عليه مشيئتها. وأثناء معاشته المثالية الحلاج-نيتشه، قرأ كتاب "أفاق العلم الحديث" ليعقوب صروف رئيس تحرير المقتطف فنراه يهبط من علياء المثالية إلى عالم المادة. وفى قسم الفلسفة بالجامعة حيث كانت المقررات الدراسية بعيدة عن الفلسفة المادية والبرجماتية بحكم المناخ السياسى -الثقافى القائم آنذاك، يتعرف محمود العالم أكثر وأكثر على أركان المدرسة المثالية فى التفكير (برجسون وهيغل). وينهى دراسته الجامعية ويمضى فى طريق الدراسات العليا بمثاليته التى بدت واضحة فى اختياره لموضوع رسالته للماجستير "نظرية المصادفة فى الفيزياء الحديثة". ولما كان جوهر التفسير المثالى للظواهر يقوم على المصادفة وليس على الأسباب المادية والعقلية، فإن محمود العالم أراد من موضوع رسالته أن يثبت أن المصادفة تحكم كل شئ حتى الظاهرة الطبيعية (الفيزياء)، وأن العلم ليس موضوعياً. وتلك فى تقديرى قمة المثالية، وحجته فى تحديد الموضوع بهذا الشكل أن العلم مصدره الإنسان، وأن الإنسان لا يمكن أن يكون آلياً أو ميكانيكياً فى تصرفه، وأن الإرادة والحرية تحكم تصرفاته واختياراته. مع أن الإنسان آنذاك كان قد عرف أسرار تكوين الظاهرة الطبيعية وتطورها من خلال الملاحظة والتجربة وأصبح يتحكم فيها ويخضعها لمصلحته بعد أن كان يخضع لها، الأمر الذى أدى إلى انكماش مساحة التفكير الغيبى فى ذهنه لحساب التفكير العقلى المادى.

ثم يقع على كتاب لينين "المادية والنقد التجريبى" خارج سور الدراسة المثالية

بالجامعة فتضطرب أركان مثاليته ويؤمن بموضوعية العلم ويبادر إلى

تغيير عنوان رسالته إلى "نظرية المصادفة الموضوعية فى الفيزياء"،

أدب ونقد

لكن هذا لم يجعله ماديا تجريبيا، ذلك أن هجوم لويس عوض الدائم على المادية الجدلية والتاريخية جعله يتحاشى الالتزام الماركسى، ويلوذ أكثر ومعه أنيس منصور "بعقلنة" عبد الرحمن بدوى للوجودية. ولكن ما أن قرأ كتاب إنجلز "جدل الطبيعة" وانتهى من بحثه للماجستير، انصرف عن المثالية إلى المادية الجدلية تاركا أنيس منصور مع وجودية عبد الرحمن بدوى. وأصبح مقتنعا بالعلم فى جانبه التطبيقى الطبيعى، وبالماركسية إطارا منهجيا للتفكير المادى. ولعل هذا يفسر اختلافه فيما بعد مع زكى نجيب محمود (١٩٦٤) حول التناقض بين الحتمية وحرية الإرادة أو التلازم بينهما، إذ ذهب زكى نجيب محمود الذى كان يستخدم منهج المثاليين فى نقد الحتمية التاريخية إلى القول بأن الحتمية والإرادة لا يجتمعان.

والحال كذلك .. كان لا بد وأن ينخرط محمود العالم فى صفوف الشيوعيين، واختار الانضمام لمجموعة "النواة" باحثا عن الحرية والعدالة الاجتماعية. غير أنه وهو داخل الحركة الشيوعية ظل محتفظا بروحه المتمردة ضد القولية التنظيمية. فعندما تقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ وتقف ضدها أغلب فصائل اليسار المصرى باعتبارها إنقلابا عسكريا فاشيا أبدى احترامه "لنظام عبد الناصر واعتبره وطنيا"، وحدد اختلافه مع الثورة فى غياب الديمقراطية وفى استخدام الأسلوب الفوقى فى الإجراءات المصيرية مثل الوحدة مع سوريا (فبراير ١٩٥٨).

وعندما صدرت قوانين التأمين الكبرى فى يوليو ١٩٦١ وهو فى معتقل أبو زعبل بعد هجمة يناير ١٩٥٩ على الشيوعيين، وسمع خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى يصف التأمين "بأنه يسهم فى تكوين رأسمالية الدولة الاحتكارية .. وأن ميثاق العمل الوطنى (١٩٦٢) يمثل الأساس النظرى لهذا التحول" ويوافقه على هذا التحليل كثير من الشيوعيين المصريين، وجدنا أن محمود العالم يرفض هذا التحليل ويختلف مع الذين وافقوا عليه، ذلك أنه رأى فى الميثاق مشروعا أكبر من مشروع الحزب الشيوعى المصرى نفسه. ولهذا لا يجد حرجا فى أن يبرق لجمال عبد الناصر من المعتقل قائلا له: "إن التأمينات العظيمة تحتاج لشكل آخر من التنظيم غير الإتحاد القومى لكى يحميها ويحسن تطبيقها"، فكان هذا الموقف فى التحليل بداية خلاف عميق بينه وبين الرفاق.

وفى معتقل الواحات بعد أبو زعبل بلغ اختلافه مع رفاقه درجة عالية بشأن يوليو

١٩٥٢ فقد أعلن موقفه قائلا: "إن ثورة يوليو حركة وطنية ديمقراطية

رغم طابعها العسكرى وأساليبها الفوقية غير الديمقراطية ولا بد أن

أدب ونقد



نتعاون معها". وكان فى هذا الموقف يرد على من كان يقول وهم فى المعتقل بأن التأميم معاد للشيوعية لأنه يمس الطبقة الوسطى التى هى جزء من الجبهة التى يسعى الشيوعيون لإقامتها .. وأن يوليو وفق هذا التحليل حركة ضد الطبقة العاملة وضد الشيوعية معا، وأنها بالتالى حليفة للأمريكان باعتبار أن أمريكا ضد الشيوعية.

كانت مشكلة محمود العالم وسط الحركة الشيوعية أنه رأى أن ثورة يوليو تمثل تيارا وطنيا ديموقراطيا اشتراكيا، وعلى هذا الأساس يصبح فى الإمكان إن لم يكن ضروريا إيجاد وحدة بينها وبين الشيوعيين لتشكيل حزب ديموقراطى وليس حزبا شيوعيا مثلما حدث فى كوبا وبلدان أخرى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ذلك أن الماركسية فى مصر- فى تقديره- لم تصبح جزءاً من ثقافة المصريين وأنها لم تمصر عكس الصين التى أصبحت الماركسية فيها جزءاً من تراثها الثقافى مثل الكونفوشوسية.

وما أن خرج من المعتقل وتم حل الحزب الشيوعى انضم إلى التنظيم الطليعى داخل الاتحاد الإشتراكى، ثم ضمه عبد الناصر إلى السكرتارية العامة للتنظيم الطليعى وتولى عدة مسئوليات ثقافية تنفيذية فى رحاب ثورة يوليو.

ولكن .. وكلما كان يجد الأمور تسير على غير ما يشتهى ينبض عرق التمرد داخله يغذيه القلق فنراه يعترف فى مقدمة كتابه "الوعى والوعى الزائف" بأن حل الحزب الشيوعى كان خطأ كبيرا، وأن وجود الشيوعيين فى أجهزة الدولة من خلال الحزب الديموقراطى الذى آمن بإمكانية تكوينه (أى تحالف الشيوعيين مع الثورة) لحماية الثورة ممن يحيطون بجمال عبد الناصر فكرة خاطئة .. والصحيح أن بقاء الشيوعيين مع الجماهير مختلفين مع عبد الناصر كان كفيلا بحماية الثورة.

وفى ١٩٩٢ وبعد رحلة طويلة من القلق عاوده التمرد مجددا، فنراه يتخلى عن المادية التاريخية، ويرفض أن تطبق نظرية ما على التاريخ "لأن النظرية تتسم بالعمومية والكلية والثبات والاستقرار النسبى، على حين أن التاريخ محصلة عوامل ذاتية وموضوعية متداخلة ومتشابكة ومتفاعلة ومتناقضة تشكل إمكانات مفتوحة". ومن هنا يعجبه قول كارل بوبر بشأن عدم وجود قوانين تاريخية كلية، وبالتالى استحالة أن يكون التاريخ علما. والجال كذلك فإن محمود العالم يلتقى مع المثاليين مرة أخرى الذين كان يعبر عنهم زكى نجيب محمود فى رفضه للحتمية التاريخية واختلاف مع محمود العالم.

أدب ونقد وفى تلك المرحلة من إعادة النظر نراه يؤكد أن كارل ماركس لم

يقول بالمراحل الخمس المتوالية فى حركة التاريخ، وأن ستالين فى كتابه "المادية الجدلية والمادية التاريخية" هو الذى أشاع هذا الطابع النسقى الغائى، وأعطاه مشروعية ماركسية زائفة، وخطورتها أنها لا تتعلق فقط بالماضى وإنما بالحاضر والمستقبل. ثم ينتهى إلى خلاصة خطيرة لها مغزاها وهى إن المادية التاريخية فى التطبيق رؤية مفروضة على التاريخ وليست رؤية مستمدة من دراسة موضوعية عينية للتاريخ.

وبهذا التحليل الأخير فسر محمود العالم (يوليو ١٩٩٢) انهيار الاتحاد السوفييتى وسقوط حكم الحزب الشيوعى لأن الماركسية تحولت إلى نسق مطلق مفروض بشكل علوى إرادوى على المجتمع. وبدلاً من أن تكون وسيلة لتحرير المجتمع من الاغتراب أفضت إلى مضاعفة اغترابه وسجنه فى نسق نظرى، فأصبحت النظرية التاريخية (الماركسية) نظرية غير تاريخية.

واستمراراً لهذا التحليل ينتهى إلى أن النظام الرأسمالى الذى يقوم على العوامل الذاتية والتنافس، رغم أن جوهره الاستغلال والاغتراب، ينجح فى تجديد نفسه ومن ثم فى الاستمرار لوجود هذه الحرية النسبية، على حين يفشل النظام الإشتراكى فى نموذج السوفييتى بسبب تجاهل العوامل الذاتية والإنسانية مع أن الإشتراكية قامت أساساً بهدف إلغاء الاستغلال وإزالة الاغتراب.

وفى عام ١٩٩٢ أيضاً ينتهى محمود العالم إلى أن الفكر القومى يغلب عليه طابع الانفعال الإستعلائى المثالى، ويفتقد الرؤية الموضوعية للتاريخ والمجتمع والواقع عامة، ويتغافل عن حقائق الاختلافات والتميزات العرقية والطبقية والظروف الاجتماعية الموضوعية فى "بلادنا العربية"، رغم أنه فكر يتبنى قضية القومية العربية وهى تحرير البلاد العربية جميعاً وتقديمها ووحدتها ويناضل من أجل تحقيقها. والصحيح عنده أن الشكل الكونفيدرالى وليس الفيدرالى أو الوحدة هو المناسب فى حالة البلاد العربية وقد يؤدى إلى أشكال أعمق فى ضوء الممارسة.

وهكذا ظل "فريد" (أى محمود العالم) فى الحركة الشيوعية المصرية فريداً فى الحياة الثقافية بما قدمه من رؤى إبداعية فى عالم السياسة والأدب جديرة بالاهتمام والمتابعة، وفريداً فى شجاعته فى ممارسة النقد الذاتى الذى لولاه لما كانت هذه المقالة التى كتبتها اعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه ■

أدب ونقد

العالم: المكافح الرقيق

فاروق عبد القادر

ويحتفظ له تراث هذه المرحلة بموقف محدد حين مضى في الشهر الأخير من سنة ١٩٥٨، بصفته ممثلاً للجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري ليناقدش أنور السادات بصفته ممثلاً لسلطة عبد الناصر، حول حل الحزب الشيوعي وانضمام أعضائه كزفراد إلى تنظيم الثورة الذي كان بصدد إنشائه آنذاك، ولم يتفق الرجلان، فزعم السادات أن سائقه قد غلبه النوم ليترك للعالم أن يقطع الطريق الطويل على قدميه في الهزيع الأخير من الليل، ويعدّها بأيام قليلة، ومع مطلع السنة الجديدة فتح عد الناصر أبواب السجون والمعتقلات: كي تضم الشيوعيين والماركسيين واليساريين على وجه العموم، ومن بينهم محمود العالم بطبيعة الحال، حيث قضوا السنوات التالية حتى أطلق سراحهم في ١٩٦٤ .

وكانت السجون والمعتقلات تفيض بالنقاش والجدل حول نظام عبد الناصر، وصحة الموقف الذي يجب أن يتخذ إزاءه. وليس لنا أن نحكم على النوايا، وإنما نحكم على الأفعال والنتائج، وقد أنغمس محمود العالم منذ طلق سراحه في العمل العام، ولم يكتف برئاسة مجالس إدارات الصحف والهيئات التي تولاه.

إذا.. فقد رحل
استاذنا محمود
أمين العالم.
رحل عن عمر
يناهز الثامنة
والثمانين (هو
من مواليد
١٩٢١)، عاش
حياته كما
يليق بكاتب
ومثقف يساري،
عرف دوائر
اليسار منذ
أربعينيات
القرن الماضي،
وقد أنغمس
محمود في
النضال العملي
لتلك الدوائر

أدب وفن

(من بينها هيئة المسرح وأخبار اليوم وسواهما)، بل سعى للانضمام إلى ما عرف بالتنظيم الطليعى، وهو ذلك التنظيم الذى كان من المفروض أن يكون سرياً داخل الاتحاد الاشتراكى، وتولى مسئوليات تنظيمية وثقافية فيه، ولعل هذا ما وضع بذرة الصدام بينه وبين أنور السادات الذى تفجر حين ولى هذا حكم مصر، ما دفع أن العالم إلى الانقطاع الثانى فى حياته (والأول هو فترة الاعتقال)، ف قضى السنوات العشر الأخيرة من حياته قبل أن يأتى إلى مصر ويقضى أيامه فيها أستاذاً يعمل فى التدريس فى جامعات أجنبية (إنكليزية وفرنسية).

ولعل أبقى ما خلفه محمود العالم، هو جهده فى النقد الأدبى بوجه خاص، وهناك أقف لألقى نظرة هى سريعة بالضرورة على عمليات من أوائل أعماله وأواخرها. (أصدر محمود نحو العشرين كتاباً).

”كتابه الأول الذى لفت إليه الأنظار بشدة، حين أصدره مع رفيق جانب من حياته وعمله أستاذ الرياضة البحتة الدكتور عبد العظيم أنيس، أصدره بعنوان فى الثقافة المصرية، فى ١٩٥٥، وعهدا إلى الكاتب والمفكر اليسارى اللبنانى حسين مروة بتقديمه، جاء فى هذه المقدمة : «إن واضعى هذه الدراسات إنما وضعناها وهما يخوضان معركة فكرية هى معركتنا نحن الآن فى لبنان، ومعركة إخواننا الكتاب الواقعيين هناك فى سوريا والأردن والعراق والجزيرة، وحتى بلدان المغرب العربى من الجانب البعيد. نضى بها هذه المعركة الأزلية الأبدية بين كل جديد وكل قديم.. إلخ..

وأحدث الكتاب ضجة هائلة لدى صدوره، ولعله اليوم ينتمى إلى الماضى أكثر مما ينتمى إلى الحاضر، لكنه كان آنذاك طلقة فى معركة، ولعله كان من الطبيعى أن تأتى بعض كلماته خشنة، وبعض أحكامه بحاجة إلى مزيد من المراجعة، وبعض هذه المراجعة قام بها محمود العالم نفسه. لكن الكتاب دافع عن أفكار كانت آنذاك جديدة على الواقع الثقافى العربى بدرجة أو بأخرى.

إن العمل الأدبى تعبير، له طبيعة خاصة، عن واقع اجتماعى، وإنه على علاقة وثيقة كذلك بحياة صاحبه، ثم إنه قادر على أن يسهم فى صوغ هذا الواقع وتعديل مساره، بحيث يصبح أكثر أمناً وعدلاً وجمالاً.

الكتاب الثانى صدر فى ١٩٩٤ بعنوان «أربعون عاماً من النقد التطبيقى، جمع فيه مقالاته ودراساته فى القصة والرواية المصرية والعربية التى كتبها على طول مسيرته النقدية الممتدة من الخمسينيات إلى التسعينيات يشوبها هذان الانقطاعان اللذان سبقت إليهما الإشارة.

أدب ونقد

هكذا جعل المؤلف كتابه أقساماً ثلاثة: الأول: مقدمات نظرية، ويضم مقالات أربعة: الرواية بين زمنها وزمنيتها - العلاقة بين الخطاب الروائي والواقع - الخطاب الروائي والأيدولوجي.

ثم نشأة الرواية العربية في مصر ومنحى تطورها. القسم الثاني يضم التطبيقات النقدية في مرحلة الثمانينات والتسعينيات، والثالث يضم تلك التطبيقات من الخمسينيات حتى السبعينيات. ولا شك في أن الكتاب كله بأقسامه الثلاثة عمل فكري ونقدي مهم، فإضافة إلى القيمة النقدية، ثمة قيمة تاريخية توثيقية تتعرف إلى تطبيقات الخمسينيات. نعم: هكذا كان يكتب معظم النقد الأدبي آنذاك:

في تقديم مجموعة الأنفار، لمحمد صدقي يكتب العالم: «إنها تعبر عن مرحلة من مراحل نمو القصة العربية في اتجاهها نحو الواقعية، في حملها لرسالة الإنسان والتقدم والسلام، في تعبيرها عن كفاح الطبقات الشعبية الكادحة من عمال وفلاحين وفئات صغيرة...» إن هذه المجموعة من القصص المصرية القصيرة ليست من إبداع محمد صدقي وحده، بل هي ثمرة سنوات خصبة من الكفاح الوطني والاجتماعي.. إلخ..

وعن مجموعة «أزمة كاتب» لإبراهيم عبد الحليم يكتب: وكتابات إبراهيم عبد الحليم تفيض بالمعنى الثوري، تعلن الموقف الثوري، تحض وتحرض وتصوغ الصورة الشعبية الدامية المتوفرة المتحفزة، وتبنى التعبير الإنساني الحاد الفاجع. إنها تذوب كالدموع أو تتألق كالضحكات أو تدقب ككتائب الفدائيين، أو تصرخ كطلعة السنكى في جسد العدو الغادر.. إلخ..

نعم.. كان النقد الأدبي آنذاك جهير الصوت عالي النبرة، قد لا يعنى بالنظر إلى فنية العمل وخصوصيته وتحليل بنائه وائتلاف عناصره، قدر ما يعنى بالنظر إلى مضمونه المباشر في ضوء المنهج الواقعي، بما شابه آنذاك من جهود وقصور، فالأدب ليس في التحليل الأخير غير طلقة في معركة ينحصر أثرها فيها يمكن أن تحدثه مع بقية الطلقات.

في هذا الضوء وكما يتضح من تطبيقات الخمسينيات راهن الناقد على أسماء عديدة، وتوقع لها أن تحتل أماكنها اللائقة في تاريخ القصة العربية.

وتنقضى السنون على تلك النبوءات ولا يتحقق أى منها! تعثر

بعض أصحاب هذه الأسماء وتوقف بعضها الآخر، وغاب بعضها

أدب - نقد



الأخير تماماً كأن لم يكن!

ولعله يصبح من التزيد أو النطاعة النقدية لو شئت، أن تقف عند منهج الناقد ومعظم أحكامه فى تلك التطبيقات الباكرة منها ما هو صاحبها ذاته يقضى بقية العمر فى مراجعتها ، ويُقول أكثر من مرة إنه لا يبررها ولكنه يفسرها .
ومن أكثر دراسات هذا الكتاب عمقاً وأصالة، دراسته بعنوان «عالم يوسف إدريس القصصى» .

فى هذه الدراسة يتمثل منهج محمود العالم النقدى كما تطور حتى مرحلته الأخيرة .
وكان يعنى عناية كبيرة بفنية الأعمال وخصوصيتها، لكنه لا يهمل دلالاتها الاجتماعية، ولا يقف عندها كثيراً، بل يتجاوزها نحو الدلالات الإنسانية الشاملة .
وسواء اتفقت معه فى النتائج التى يبلغها بمنهجه التحليلى ذلك أم اختلفت، فإنك لابد مقر له بسلامة المنهج واستقامته .

احتفظ من نقده القديم بأثمن ما كان فيه، وأفاد من النقد الحديث وأساليبه فى التحليل فائدة عظمت، وعرف نقده فى الثمانينيات والتسعينيات مزيداً من الاهتمام بالكشف عن «البنى» الأساسية المترددة فى العمل ودلالاتها، إلى جانب الحفاوة باللغة وطرائق استخدامها .

لم يعد المضمون هو المقدم، والأولى بالاهتمام، بل إنه دلل أكثر من مرة على أن بناء العمل الفنى هو دلالاته دون انفصال أو تمايز .

كان محمود العالم رجلاً دمثاً رقيقاً متواضعاً، وواحد من أصفى النماذج التى مثلت بحياتها وأعمالها موقف المثقف اليسارى نموذجى، واحتمل فى سبيل التعريف بهذا الموقف ما احتمل منذ دخل حلبة النضال السياسى الفكرى فى أربعينيات القرن الماضى، وحتى رحل قبل أيام ■

أدب ونقد



أعلام:

فريدة النقاش / ماجد يوسف / صلاح عدلى / د. ماهر شفيق فريد
صلاح عيسى / د. صلاح السروى / عبد الرحمن الأبنودى / أحمد عبد المعطى حجازى / د.
عبد العظيم أنيس / د. جابر عصفور / د. جلال أمين / د. مينا عبد الملك
د. محمد الباجس / شعبان يوسف / د. محجوب الحارث / حامد الحلبي
هاني الحوراني / سمير كرم / د. عاصم الدسوقي
فاروق عبد القادر / حلمي سالم.